

روايات عالمية للجيب 61

Looloo

www.dvd4arab.com



محامي الشوارع

تأليف : جون جريشام
ترجمة وإعداد : د. أحمد خالد توفيق

المؤلف



للتقينا (جون جريشام Grisham) مرتين من قبل هنا .. مرة مع تحفته (صانع الأمطار) ومرة مع (العميل) ، وتعد القصتان من أكثر ما نشر في هذه السلسلة فوزًا بإعجاب القارئ واستحسانه .. نذكر القارئ أن (جريشام) أديب أمريكي مال للتخصص في عالم المحاماة

والقضايا ، وهو بهذا يحذو حذو أديب شهير آخر هو (إيرل ستانلي جاردنر) صاحب (بيرى ماسون) ..

ولد جريشام في أركنساس عام ١٩٥٥ لأب مزارع قطن ، وقد استقرت أسرته جوار المسيسيبي عام ١٩٦٧ .. في هذا الوقت تقريبًا بدأ الشاب يقرأ بنهم ، خاصة أعمال أديب أمريكا العظيم (شتاينبيك Steinbeck) ، وإن لم يطمح للأدب قط ، فقد كان يعتقد أنه خلق ليكون لاعب

ببازبول عظيمًا .. ذلك الطموح الذى تخلى عنه فى
مباراة عنيفة جعلته يدرك قدراته بالضبط . درس
المحاسبة وتخرج عام ١٩٧٧ . التحق بمدرسة القانون
عام ١٩٨١ حيث عمل بالمحاماة لفترة .

اضطر ذات مرة لسماع طفلة صغيرة تحكى فى
المحكمة قصة اعتداء تعرضت له .. هنا خطر له أن
يتخيل الوضع القانونى لو أن الفتاة كانت زنجية ، ولو
أن الاعتداء تم على يد مجموعة من البلطجية البيض
المتعصبين ذوى الأعناق الحمر Red necks .. هنا
يلعب التعصب العرقى دورًا لا بأس به ؛ لأن فرصة
نجاة المجرم الأبيض عالية إذا كان المحلفون بيضًا ،
وهذا ما يدفع أبا الطفلة لتنفيذ العدالة بيده .. هكذا
ولدت قصة (وقت للقتل) عام ١٩٨٧ ، والتي لم تلق
اهتمامًا يذكر ، فلم يبيع منها إلا ألف نسخة ..

لكنه بعدما قدمها للناسر الوحيد الذى قبلها ، بدأ قصة
ثانية اسمها (الشركة) . وقد قفزت هذه القصة المثيرة
إلى الصف الأول فى أعلى المبيعات ، وعام ١٩٩١ اشترتها
منه إحدى شركات الإنتاج السينمائى بستمائة ألف دولار .

(الشركة) تحكى عن محام شاب يتعلم الدرس بالطريقة الصعبة : لا أحد يقدم شيئاً مجانياً ، وكل هذه المزايا التى تمنحها إياه شركة الحمامة الكبرى تضعه فى ورطة مخيفة بين الـ FBI والمافيا الغاضبة .. برغم أن الفيلم الذى قدمه (توم كروز) نجح جداً فإن الرواية سبقته فى هذا النجاح ، وبالتالى راجت رواية (وقت للقتل) ورآها النقاد للمرة الأولى ..

بدأ جريشام يقدم عملاً واحداً تقريباً كل عام ، وتبدت فى أعماله ثقافته القانونية مع فهمه للجنوب الأمريكى وعالم المسيسيبي الذى قدم لنا من قبل أديباً عظيماً هو (مارك توين) ..

قدم بعد هذا (العميل) و (الغرفة) و (المحلف الهارب) و (صانع الأمطار) و (الشريك) و (محامى الشوارع) و (ملف البجعة) و (الشهادة) و (مقاعد الشمس) ..
القصّة الأخيرة تنتمى لعالم البيزبول الذى لم ينسه قط . ويذكر القارئ أننا قدمنا فى هذه السلسلة قصتي (صانع الأمطار) و (العميل) .

هناك تيمة محببة لـ (جريشام) هى البطل الفرد الوحيد الضعيف الذى يواجه كيانا ضخماً مرعباً .. المافيا أو شركات المحاماة العملاقة أو شركات التأمين أو الاستخبارات المركزية .. حجم رواياته ضخم مما يروق للقارئ الأمريكى الذى لا ينظر بجدية لرواية صغيرة الحجم ..

نال جريشام لقب (أفضل الكتاب مبيعاً فى التسعينيات) ، وكل عنوان جديد له هو فيلم جاهز للتصوير ، ويعتبر حالياً أكثر الكتاب شعبية لدى قارئ الإنجليزى بعد (ستيفن كنج) ..

يعيش جريشام فى أكثر من بيت جوار المسييسى وفى أكسفورد وفرجينيا ، ولديه ابنان .. امتاز أبه بأنه يتحاشى الجنس والعنف والبذاءات ، وهو لم يخف للحظة صدمته من كل هذه الأشياء التى يقحمها كتاب السيناريو على قصصه ..

واحد

دخل الرجل ذو الحذاء المطاطى طويل العنق المصعد خلفى ، لكنى لم أره فى البداية .. برغم هذا شممت رائحة التبغ والخمر الرخيصة والحياة فى الشارع بلا صابون . كنا وحيدين بينما المصعد يصعد لأعلى ، وإذا نظرت لأسفل رأيت الحذاءين .. أسودين كبيرين متسخين .. معطف مطر يتدلى حتى ركبتيه ، وتحت طبقات من ثياب متسخة جعلته يبدو أقرب للبدانة . لكنها ليست بدانة فرط التغذية ، ففي شتاء واشنطن يلبس الناس الذين لا بيت لهم كل ما يملكون .

كان أسود متقدماً فى العمر ، وقد شاب نصف شعره ولحيته فهو لم يقصهما أو يغسلهما منذ أعوام . كان يتجاهلنى وهو ينظر أمامه عبر نظارة شمس سميكة حتى تساءلت عن سبب اهتمامى به .

لم يكن ينتمى هنا . ليست هذه بنايته ولا مصعده .. كل المحامين فى الطوابق الثمانية فى شركتى هذه يعملون

بالساعة ويتقاضون أجوراً مازلت أراها فادحة بعد سبعة أعوام . مجرد متسكع جاء من البرد .. هذا يحدث طيلة الوقت فى وسط واشنطن ..

فى الطابق السادس توقفنا ، وللمرة الأولى لاحظت أنه لم يطلب رقم أى طابق .. لقد كان يقتفى أثرى .. خرجت مسرعاً فما إن مشيت عبر البهو الرخامى الفاخر لشركة (دريك وسوينى) حتى اختلست نظرة للخلف لأراه ما زال فى المصعد لا ينظر لى .

حيثنى مدام (ديفيه) موظفة الاستقبال بطريقتها الموحية بالازدراء ، فقلت لها :

- « راقبى المصعد .. »

- « لمة ؟ »

- « متسكع .. ربما وجب أن تطلبى الأمن وربما بعض المطهرات .. »

وابتعدت واضعاً معطفى على كتفى ، ونسيت الرجل ذا الحذاء المطاطى .. لدى مقابلات لا تنتهى طيلة العصر ،

وكنيت على وشك أن أقول شيئاً لـ (بولى) سكرتيرتى
عندما سمعت الطلقة الأولى .

كانت مدام (ديفييه) تقف خلف مكتبها متصلبة تحديق
فى ماسورة طويلة لمسدس يحمله صديقنا متسكع
الشارع . كنت أول من دنا منها لذا صوب المسدس بلياقة
نحوى فتصلبت بدورى .

كنت قد رأيت ما يكفى من أفلام لأعرف ما يجب
عمله ؛ لذا قلت وأنا أرفع يدي :

- « لا تطلق النار .. »

غمغم فى هدوء :

- « اخرس .. »

فجأة صرخ أحدهم من خلفي :

- « إن معه مسدساً ! »

ثم تلاشت الأصوات فى الخلفية .. وإذ جرى رفاقى
للأبواب الخلفية كاد بعضهم يثب من النوافذ . عن

يسارى يوجد باب خشبى عملاق يقود لقاعة اجتماعات فيها الآن ثمانية محامين من قسم التقاضى .. ثمانية محامين لا يخافون شيئاً .. كان أكثرهم صلابة طوربيداً عدوانياً اسمه (رافتر) ، ما إن فتح الباب صائحاً :

- « ماذا بحق الجحيم ؟ »

حتى اتجهت ماسورة المسدس نحوه .. صاح (رافتر) :

- « دع هذا المسدس .. »

خلال جزء من الثانية انطلقت طلقة أخرى تخرق السقف فوق رأس (رافتر) فجعلته يدرك أنه فان .. أشار لى الرجل فدخلت قاعة الاجتماعات ، وكانت مدام (ديفيه) ترتجف وقد مزقها الرعب .

أغلق المتسكع الباب خلفى ورفع المسدس فى الهواء كى يتمكن كل المحامين من إبداء إعجابهم به .. كانت رائحة البارود أقوى من رائحة حامل المسدس ..

قال الرجل وهو يستعمل مسدسه كحجة إقناع قوية :

- « قفوا أمام الجدار .. »

ثم وضعه جوار رأسى ، وقال :

- « أغلق الأبواب .. »

وكذا فعلت ..

لم تبدر كلمة عن ثمانية المحامين ، ولم تبدر كلمة منى وأنا أنفذ الأمر ثم التفت له .. لسبب ما تذكرت جرائم إطلاق الرصاص فى مكتب البريد ، عندما يعود موظف فى ساعة الغداء ليطلق الرصاص على خمسة عشر من زملائه .. تذكرت المذابح فى مطاعم الوجبات السريعة .. كل من ماتوا فى هذه الحوادث كانوا أطفالاً أو مواطنين صالحين .. بينما نحن حفنة من المحامين !

بإشارات من مسدسه أوقف المحامين جوار الحائط ثم التفت لى .. ماذا يريد ؟ لم أر عينيه بسبب نظارات الشمس لكنه كان يرى عينى .. نزع معطفه وبغضاً وضعه على المنضدة .. ثم نزع الطبقة الثانية .. سترة صوفية خضراء سميقة .. سميقة لسبب واضح هو أن

هناك حول خصره حزمة من عصي حمر .. وأدركت عيني غير المدربة أن هذا ديناميت ..

هناك أسلاك تجرى كالسباجيتى الملونة من وإلى أصابع الديناميت ، بينما قام شريط (شكرتون) فضى بتثبيت كل شيء ..

- « أرجوكم الهدوء .. »

قالها بلهجة الأستاذ الصبور .. وقد جعلنى هدوءه أفقد أعصابى .. مد يده فى جيبه فأخرج مطواة وحزمة حبال .. ثم نظر للوجوه المذعورة ، وقال :

- « لا أريد أن أؤذى أحداً .. »

كان من الجميل أن تسمع هذا لكن من الصير أن تأخذه بجدية .. هنا عاد المسدس لى .

- « أنت .. اربطهم .. »

كان (رافتر) قد اكتفى .. تقدم نحو الرجل وقال :

- « اسمع يا صاحبنى . ماذا تريد بالضبط ؟ »

انطلقت الرصاصة الثالثة فوق رأسه .. بدت كطلقة
مدفع وفى مكان ما من البهو صرخت إحداهن ..
قال المتسكع :

- « لا تنادنى بـ (صاحبى) .. »

وعلى الفور تم استبعاد لفظة (صاحبى) من القاموس ..
وسأله شاعراً بأننى صرت تقريباً زعيم الرهائن :

- « بم أناديك ؟ »

- « نادنى بـ (مستر) .. »

وناسب الجميع هذا اللقب .. هنا دق جرس الهاتف
فرفع السماعه بيده اليسرى بينما اليمنى تصوب المسدس
نحو (رافتر) . لو أن لنا حق الانتخاب لاخترنا (رافتر)
ليكون كبش الفداء الأول ..

قال (مستر)^(*) :

(*) هذه سخرية طبعاً .. لقد افترض أن اسم الرجل هو (مستر) لأنه
لا يعرف اسماً آخر .

- « نعم .. »

ثم وضع السماعة وناولنى الحبل وأمرنى بأن أحكم قيدهم . بحيث ترتبط معاصمهم .. فعلت ذلك وأنا أحاول جهدى ألا أنظر لوجوه زملاى الذين أقودهم إلى نهايتهم .. حاولت أن أبقي القيد مرخياً قدر الإمكان ..

كان (مالامود) يتنفس بصعوبة ، ويعرق بغزارة ، فقد كان أكبرنا سناً وقد مر عامان منذ نوبته القلبية الأولى .. نظرت لـ (نوتسو) صديقى الوحيد الحقيقى فى هذه المجموعة .. كان من نفس سنى 32 عاماً وزوجتانا من (بروفى دنس) .. زواجه ناجح بينما زواجى يوشك على الانتهاء .. تلاقى عيناى وفكر كل منا فى أطفاله .. كنت سعيد الحظ لأننى لم أنجب ..

دوت السريئة الأولى فطلب منى (مستر) أن أسدل الستائر على النوافذ .. نظرت لساحة الانتظار فرأيت سيارة شرطة خالية فتحت أبوابها ، فلابد أن شرطيتها فى البناية فعلاً ..

حسب آخر إحصاء ، لابد أن شركة (نريك وسوينى) لديها ٨٠٠ محام حول العالم ، ونصفهم فى واشنطن فى البناية التى يهددها (مستر) ..

طلب منى أن أتصل بالرئيس وأخبره أن الرجل مسلح ويحمل دسنة من أصابع الديناميت . اتصلت بـ (رولف) مدير قسمى ونقلت له الرسالة وأضفت :

- « أرجو أن تنفذ ما يطلبه .. »

- « وما الذى يطلبه ؟ »

- « لا أعرف .. »

هنا لوح (مستر) بالمسدس لتنتهى المحادثة . ثم راح يعبث بسلك أحمر من الأسلاك المحيطة بخصره :

- « هذا السلك الأحمر .. يكفى أن أجذبه وينتهى كل

شئ . »

سألته :

- « لم تفعل ذلك ؟ »

- « لا أريد .. لكن لم لا أفعله ؟ »

دهشت من طريقة أدائه الرتيبة المنهجية .. كل مقطع يحظى بنفس المعاملة .. إنه حاليًا متسكع لكن لابد أنه رأى أيامًا أفضل .

كانت الواحدة والثلاث فأنما محام أعيش بالساعة ومرت فترة صمت محطمة للأعصاب مدتها أربع عشرة دقيقة .. لم أصدق أننا سنموت . لا يبدو لى أن هناك دافعًا أو سببًا لقتلنا .. أعرف يقينًا أن أحدنا لم يلقه من قبل .. هذه بالضبط هى المذبحة التى ستستولى على اهتمام الإعلام فى الفترة القادمة ، ثم يبدأ البعض فى تأليف نكت المحامى الميت .. كان بوسعى أن أرى عناوين الصحف ، لكنى عجزت عن تصديق أن هذا سيحدث فعلاً .

فجأة سألنى (مستر) :

- « ماذا تناولت فى الغداء ؟ »

- « تناولت دجاجًا مشويًا .. »

- « وحدك ؟ »

- « كلا .. كان معي صديق .. »

- « وكم كلفتكما هذه الوجبة ؟ »

- « ثلاثون دولارًا .. »

لم يحب هذا .. هز رأسه ، وقال :

- « ثلاثون دولارًا ؟ لفردين ؟ »

ثم نظر إلى المحامين الثمانيّة ، ودعوت الله أن يكذبوا لو أنه سألهم .. هناك (كروش) ممتازة في هذه المجموعة ، وثلاثون دولارًا لا تكفيهم فاتحًا للشهية ..

- « هل تعرف ما أكلته أنا ؟ »

- « لا .. »

- « أكلت حساء ومقرمشات في أحد الملاهي .. حساء مجاني سرنى أن ظفرت به .. يمكنك أن تطعم مائة من أمثالي بثلاثين دولارًا .. هل تعرف هذا ؟ »

هزرت رأسى فى جدية كأنى تبينت فجأة حجم
خطيئتى ..

لوح بمسدسه ، وقال :

- « اجمع كل المحافظ والساعات والمجوهرات .. »

- « هل لى أن أسأل لماذا ؟ »

- « لا .. »

هكذا وضعت حافظتى وساعتى على المنضدة ثم رحت
أفتش فى جيوب رفاقى .. طلب منى أن أتصل برئيسى ثانية
فرد (رودلف) فوراً .. يمكننى أن أتخيل قائد (السوات)
يقف فى مكتبه الآن ..

كان الرجل يريد أن أحمل حقيبة سوداء كبيرة لأضعها
خارج القاعة ثم أعود وأغلق الباب خلفى ، وهذا ما طلبته
من (رودلف) .. ونفذت ما قاله ثم عدت له .. سألنى من
جديد :

- « كم من المال كسبت العام الماضى ؟ »

قلت في ارتباك :

- « انتظر .. دعنى أتذكر .. »

- « لا تكذب ! »

- « مائة وعشرون ألفاً ... »

بدا أن هذا لم يرق له بدوره ، فعاد يسأل :

- « وكم أنفقت منه على أعمال الخير ؟ »

- « آه .. دعنى أتذكر .. زوجتى تتولى شئون الإنفاق

والفواتير .. »

- « ومن يدفع ضريبة الدخل الخاصة بكم ؟ »

- « هذا تتولاه إدارة الضرائب الخاصة بنا . »

- « هل هي فى هذه البناية ؟ »

- « نعم .. »

- « إذن أوصلنى بهم .. أريد سجل الضرائب لكل

شخص هنا .. »

نظرت لوجوههم ، ورأيت فى وجه اثنين أنهما يوشكان
على قول : هلم أطلق الرصاص علينا فهذا أفضل ..
لا بد أننى ترددت لأن (مستر) صوب المسدس على
رأسى ، وصاح :

- « افعل ذلك الآن ! »

اتصلت بـ (رولف) الذى بدا متردداً ، حتى صرخت فيه :
- « افعل ذلك الآن ...!.. أرسلها لى بالفاكس .. ضرائب
آخر عام فحسب .. »

ورحنا نراقب آلة الفاكس فى الركن بانتظار الأرقام ،
خائفين أن يقتلنا (مستر) لو تأخر وصول نموذج
١٠٤٠ الخاص بالضرائب ..

اثنان

بما أن (مستر) قد قام بتعييني ككاتب حسابات للمجموعة ، جلست حيث أشار لى بالمسدس وأمسكت بالفاكسات .. كان رفاقي قد وقفوا مدة ساعتين وظهرهم للجدار الآن وقد بدا عليهم الإرهاق والتعب ..

سألني (مستر) :

- « أنت أولاً .. ما اسمك ؟ »

أجبت في أدب :

- « مايكل بروك .. »

- « كم من المال كسبت العام الماضي ؟ »

- « قلت لك .. مائة وعشرون ألفاً قبل الضرائب .. »

- « وكم أنفقت منه على أعمال الخير ؟ »

كنت واثقاً من قدرتي على الكذب .. لست محاسب ضرائب لكن بوسعي خداعه .. زوجتي (كلير) حصلت على ٣١ ألف دولار كطبيبة جراحة مقيمة ؛ لذا بدا دخلنا

الكلى عاليًا .. وبعد دفع الضرائب ومصاريف دراسة (كثير) وإيجار الشقة الجميلة فى (جورج تاون) 2400 دولار فى الشهر استثمرنا ٢١ ألف دولار فى حساب مشترك ..

كان (مستر) ينتظر فى صبر .. وكنت أتخيل رجال (السوات) يزحفون هنا وهناك ويتساقطون الأشجار ، ويفعلون كل الأمور التى نراها فى السينما .. ومهمتهم وضع رصاصة فى جمجمته وبرغم هذا لا يبدو أنه مهتم لأى شىء .. لقد تأهب للموت واستسلم لقدره .. وهذا لا ينطبق علينا ..

قلت له :

- « تبرعت بألف دولار لجامعة (بيل) وألفين لهيئة (الطريق المتحد) المحلية .. »

- « كم دفعت للفقراء ؟ »

- « (الطريق المتحد) تتخذ ما تراه مناسبًا لأعمال الخير .. ودفعت ٢٥ ألف دولار كضرائب .. بالطبع أكثر هذا المبلغ يذهب للخدمات الطبية والأطفال معدومي الأهلية »

- « وهل فعلت هذا عن طيب خاطر ؟ »

- « لم أشك .. »

طبعاً كنت أكذب ..

- « هل شعرت بالجوع من قبل ؟ »

كان يحب الإجابات البسيطة ولم يرزقنى الله برد بليغ ،
لذا قلت :

- « لا .. »

- « هل نمت فى الجليد ؟ أنت تكسب الكثير لكن
جشعك يمنعك من أن تعطينى بعض الفكة فى الشارع »
ولوح بالمسدس فى الآخرين :

- « أنتم جميعاً .. تتجاهلوننى وأنا أتسول .. تتفقون
على قهوتكم أكثر مما أنفقه على طعامى . »

نظرت إلى هؤلاء الأوغاد فلم يكن منظرهم محبباً ..
أكثرهم ينظر لقدميه .. وتخيلت ما يدبره (السوات) الآن
فى الخارج .. لقد نزع (مستر) وصلات الهاتف ..
لا يريد الكلام مع أحد ولا المفاوضة .. إن جمهوره الوحيد
هنا فى هذه القاعة ..

- « من من هؤلاء يكسب أكثر ؟ »

قلبت الأوراق حتى وجدت أوراق (مالامود) .. كانت المرة الأولى التى يتاح لى فيها إدراك الحجم الحقيقى لتجاح هذا الزميل ، لكنى لم أجد فى ذلك سعادة .. كان يكسب خمسين ألف دولار فى الشهر من الشركة ، ومكافأته الثانوية التى نحلم بها جميعاً خمسمائة ألف ..

- « كم من هذا المال أعطيت الفقراء والجياع ؟ »

قال (مالامود) :

- « لا أذكر .. لكنى وزوجتى منحنا الكثير للفقراء ونحن سعيدان بهذا . »

طلب منى (مستر) أن أدون كشفًا باسم كل واحد وجواره ما حصل عليه وكم أعطى الفقراء .. استغرق هذا وقتًا لا بأس به ، ولكنى قدرت أنه من الخير لى ألا أتعب ..

لم يهدد بقتل رهينة كل ساعة ، ولم يطلب إطلاق رفاقه من السجن .. لا يريد أى شىء فى الواقع ..

ضايقتنى أن زميلى (بارى نوتسو) يكسب أحد عشر ألفًا أكثر منى .. سوف نناقش هذا فيما بعد ..

- « المجموع حوالى ثلاثة ملايين .. الإنفاق العام

١٢٠ ألفًا .. »

قال فى غيظ :

- « لا أريد معرفة الإنفاق العام .. المال الذى تنفقونه
أنتم الأثرياء البيض على الأوركسترا والمحافل اليهودية
والأندية .. أريد معرفة كم أنفقتم على الطعام للجوع ..
فى هذه المدينة بينما تحققون الملايين بنام أطفال جوع
يصرخون ويبيكون من السغب .. كم صرفتم عليهم ؟ »
- « ليس بشكل مباشر .. إن .. »

- « اخرس ! وماذا عن الملاجئ ؟ وماذا عن العيادات
الشعبية التى يأتى لها الأطباء ليعالجوا الفقراء مجاناً ؟ »
نظر لى (رافتر) كأنما بوسعى عمل شىء .. ربما
أنظر للأوراق ثم أصبح :

- « اللعنة ! انظر ! لقد تبرعنا بنصف مليون دولار
للعيادات الشعبية وحساء الفقراء ! »

لكن ليس أنا .. إن (مستر) أذكى مما يبدو ، وأنا
لا أرب فى أن أموت رمياً بالرصاص ..

مشى نحو النافذة ونظر إلى الخارج ، ثم قال بلا مبالاة :

- « شرطة فى كل مكان ، وسيارات إسعاف .. »

ثم نسى هذا كله وعاد لنا ليوجه مسدسه نحو
(كولبيرن) ويسأله :

- « كم أنفقت على العيادات ؟ »

- « لا شيء .. »

قالها وأغمض عينيه متأهبا للبكاء .. لكن (مستر) لم
يطلق عليه الرصاص بل وجه المسدس نحو (نوزو)
وسأله ذات السؤال .. مر على الواقفين واحداً تلو الآخر
مكرراً ذات السؤال لكنه لم يطلق الرصاص على (رافتر)
كما تمنينا ..

- « ثلاثة ملايين ولا شيء للفقراء .. أنتم أناس
تعتصم .. »

عند العصر قال إنه جائع .. أمرنى أن أتصل برئيسى
وأطلب حساء من إرسالية الميثودست ، فهم يضعون
فى الحساء خضراوات أكثر ، والخبز ليس نالفاً كبقاى
المطاعم ..

تساءل (رودلف) عبر مكبر الصوت :

- « هل المطاعم المجانية تقوم بتوصيل الطلبات ؟ »

- « فقط افعل هذا يا (رودلف) .. هات ما يكفى لعشرة .. »

وتخيلت المحامين المتأقنين محاطين بالشرطة يدخلون مطعم الإرسالية وسط الفقراء المنكبين على سلطانيات الحساء .. عشرة طلبات .. خبز زيادة ..

سمعنا صوت الهليكوبتر من جديد .. ما نوع الإقحام الذى يخططون له والذى يتضمن هليكوبتر ؟ ربما هى هنا لإخلاء الجرحى ..

ظل (أمستيد) يتلوى لفترة ثم صاح :

- « معذرة يا مستر .. لكن لا بد لى من أن .. من أن أذهب للتواليت »

- « تواليت ؟ ما هو التواليت ؟ »

- « أريد أن أتبول يا سيدى .. لا أستطيع البقاء أكثر .. »

نظر (مستر) حوله حتى وجد مزهرية من الخزف فى ركن الغرفة ، فأمرنى بأن أفك قيد (أمستيد) ثم نزع الأزهار منها ، وقال :

- « التواليت هناك .. »

هكذا أدار (أمستيد) ظهره لنا وتبول بينما نحن ننظر فى الأرض .. ثم أمرنى (مستر) أن أحمل المنضدة أنا و (أمستيد) لنضعها جوار النافذة وأمر المحامين بالجلوس القرفصاء عليها .. لم أعرف السبب .. لكنى قدرت أنه يريد أن يصنعوا بأجسادهم ستاراً ضد القنصاة .. اعتقد أنه رأى بعضهم على سطح البناية المقابلة وهذا ما عرفته فيما بعد ..

لابد أن الحياة فى الشارع تعلم الصبر ، لأنه اكتفى بالجلوس والتحديث فينا من خلف عويناته السود ..

فجأة قال :

- « أنتم لا تتجاهلون الفقراء فقط .. بل تساعدون فى طردهم من بيوتهم وإقائهم فى الشوارع .. »
هزنا رأسنا موافقين .. يمكنه أن يتهمنا بأى شيء يشتهي ..

جاء الطعام أخيراً فدق الباب .. قال لى (مستر) أن أنذر الشرطة أنه سيقتل واحداً منا لو رأى أى شخص خارج الغرفة ، وقد شرحت هذا لـ (رودلف) ..

ثم إن (مستر) أمر (أمستيد) بأن يفتح الباب
بيطء ..

انفتح الباب ورأيت الطعام على عربة صغيرة ..
رأيت أربعة أوعية كبيرة من الحساء وكيسًا مليئًا
بالخبز .. تساءلنا عما إذا كان هناك شيء يُشرب ، لكننا
لم نعرف الإجابة قط .

لقد دوت طلقة في الهواء ..

كان قناص شرطة يتوارى خلف خوان جوار مكتب
مدام (دفييه) وقد ظفر بمجال التصويب الواضح الذي
أرادته .. حينما اتحنى (أمستيد) ليأخذ الحساء ظهر
رأس (مستر) لربع ثانية فأطارد القناص ..

سقط (مستر) على الأرض بلا كلمة .. وسرعان
ما تغطى وجهى بالدم .. حسبتنى أصبت وصرخت ..
ووُثب سبعة المحامين من على المنضدة وهم يعوون
ككلاب محترقة .. وسقطت على ركبتي أنتظر انفجار
الديناميت .. رفعت رأسي فرأيت (مستر) لآخر مرة
على السجادة الثمينة ويداه إلى جواره ، غير قادرتين
على بلوغ السلك الأحمر ..

فجأة امتلأت الردهة بفتية (السوات) بخوذاتهم
الشرسة وواقيات الرصاص .. حملونا إلى المصاعد ..
سألونى :

« هل أصبت ؟ »

نم أعرف .. كان رأسى مغطى بالدم وسائل لزج ،
أخبرنى طبيب فيما بعد أنه السائل النخاعى الشوكى ..

★ ★ ★

ثلاثة

فى الطابق الأول كانت الزوجات والأصدقاء ينتظرون ..
دوت صرخات الفرح إذ رأونا ..

وكنت مغطى بالدم لذا أخذونى إلى الجمائيزيوم فى
القبو .. كانت شركتنا تملكه لكن أحداً من المحامين لم
يكن يستعمله لأننا مشغولون جداً ، ومن المؤكد أن من
يستعمله سيكلف بالمزيد من العمل ..

حاصرني الأطباء الذين ليست بينهم زوجتى ، فأقنعتهم
أن هذا الدم ليس دمي .. هكذا استرخوا .. ما أردته فعلاً
كان حماماً .. أين (كلير) ؟ لقد ظلت تحت تهديد السلاح
ست ساعات وحياتى معلقة ، لكنها لا تقدر على المجيء ؟

كان الحمام دافئاً طويلاً ، وغسلت شعري عدة مرات
ثم وقفت وتركت قطرات الماء تنحدر دهنراً .. عدت
لمكتبى بعد استبدال ثياب جمائيزيوم بثيابى فجاءت
سكرتيرتى (بولى) والدموع فى عينيها .. كنت بحاجة
لرؤية هذا فعلاً .. وسألتنى :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « اعتقد هذا .. »

قابلنى (رودلف) فى الردهة فاحتضننى ، وقال :

- « أهنتك »

كأننى حققت إنجازاً ..

- « لا أحد ينتظر منك عملاً غداً .. »

قالت (بولى) وهى تضع المعطف على كتفى :

- « هناك صحفيون بالخارج »

نعم .. صحفيون ! ويا لها من قصة للإعلام ! لكن لم تعد هناك قصة .. لو أن الأمور سارت كما توقعنا لدوت طلقة ثم انفجار وتطايير الأتربة والسيقان من النوافذ مع البث الحى فى نشرة التاسعة ..

- « سوف أوصلك للبيت .. »

سررتى بشدة أن أجد من يخبرنى بما يجب أن أعمله ..

كان هواء الليل بارداً عذباً ألم رئتى .. ووقفت فى
الركن أرقب السيرك الدائر أمامى .. سيارة إسعاف تقف
بانتظار جثة (مستر) بلا شك ..

أنا حى ! أنا حى !

أغمضت عيني واصلت صلاة شكر ..

★ ★ ★

فى السيارة تكلمت أخيراً .. قلت لـ (بولى) :

- « لم يكن ينوى قتلنا .. »

سرت (بولى) لسماع صوتى ، فقالت :

- « وماذا كان يفعله إذن ؟ »

- « لا أعرف .. »

- « وماذا طلب ؟ »

- « لم يقل قط .. من الغريب أن تدركى أننا قضينا

عدة ساعات نتبادل النظرات لا أكثر .. »

- « أنت لا تلوم رجال الشرطة طبعاً .. »

- « لا .. ذكرينى بأن أكتب لهم خطابات شكر .. »

كانت شفتى فى (جورج تاون) وقد ترجلت من السيارة
شاكراً (بولى) .. ورفعت رأسى للنوازة فأدركت أن (كلير)
لم تعد بعد ..

قابلت (كلير) بعد أسبوع من انتقالى إلى واشنطن ..
كنت قد تخرجت فى (بيل) .. شركة غنية ووظيفة
ممتازة .. قضيت عامى الأول أعمل خمس عشرة ساعة
يوميًا ستة أيام أسبوعيًا ، وكنت أقابل (كلير) يوم الأحد ..

خطر لنا أنه لو تزوجنا لوجدنا وقتًا أفضل معًا .. وتم
الزواج .. ثم عدت لأعمل تسعين ساعة فى الأسبوع ..
بدأت أعمل بعدى عنها ولا ألومها ، لكن الفرص فى العمل
شحيحة والمكافآت عالية قد تبلغ مليوناً فى العام ..
الفواتير أهم من الزوجات السعيدات .. الطلاق شائع جداً
عندنا ..

بعد عام بلغت (كلير) ذروة تعاستها وبدأت تتشاجر ..

العمل يزداد صعوبة .. فرصتي تتزايد في الشركة ..
 قررت (كلير) أن تدرس في مدرسة الطب .. في النهاية
 صرت أنا وهي مدمنى عمل .. كففنا عن الشجار وصرنا
 لا نرى بعضنا .. لحسن الحظ أننا لم ننجب ..

إذ دخلت الشقة المظلمة شعرت بأننى أريد (كلير) لأول
 مرة منذ أعوام .. أنت تواجه الموت فتحتاج إلى أن تحكى
 عنه .. أن يحتاج لك أحد .. أن يخبروك أنهم يهتمون ..

بعد قليل سمعتها على الباب .. فتحتة وصاحت :

- « مايكل .. »

ثم سألتنى باهتمام حقيقى :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « بخير .. أين كنت ؟ »

- « فى المستشفى .. »

- « بالطبع .. كان يومى سيئاً .. »

- « أعرف كل شىء .. »

- « إذن أين كنت بحق الجحيم ؟ »

- « فى المستشفى .. »

- « آه .. تسع رهائن فى قبضة مجنون لمدة ست ساعات وأنت فى المستشفى .. يالى من شخص فظ ! »

جلست جوارى على الأريكة ، وقالت ببرود :

- « لم أستطع المجيء .. أرغمونا على البقاء فى المستشفى ، فقد سمعنا عن موضوع الرهائن .. كان هناك احتمال أن تحدث إصابات .. هذا وضع إجبارى .. وما كان بوسعى أن أساعدك لو جئت مكتبك .. »

ذهبت للمطبخ وعادت بشراب .. ثم جلست جوارى فى شبه الظلام .. لأننا لم نكن نمارس الاتصال فقد وجدنا صعوبة فى بدء المحادثة ..

- « هل ترغب فى الكلام عن ذلك ؟ »

- « لا . ليس الآن .. »

بالفعل لم أكن أرغب .. لقد بدأت الحبوب المهدئة التي
أعطونيها تعمل .. فكرت في (مستر) وكيف كان هادئاً
برغم أنه يحمل مسدساً ويطوق خصره بالديناميت ..

لم يكن يضايقه الصمت ..

الصمت هو ما أريد وغداً أتكلم ..

★ ★ ★

أربعة

صحوت في الرابعة من صباح اليوم التالي وأنا أشم رائحة نك السائل الذي سال على أنفى من مخ (مستر) .. أصابنى الذعر وانتفضت في الأريكة حتى سمعت من يتحرك .. (كلير) كانت غافية على المقعد بجوارى ..

قالت في نعومة :

- « كل شيء تمام .. مجرد كابوس .. »

- « هلا جلبت لى بعض الماء ؟ »

ذهبت إلى المطبخ .. وجلسنا نتكلم نحو ساعة .. حكيت لها كل شيء وظلت تصفى فى انتباه .. لم نكن نتكلم تقريباً فى الأعوام الأخيرة ..

كانت تقوم بالمرور فى السابعة ؛ لذا طهونا الإفطار معاً وتناولناه فى المطبخ أمام التلفزيون الصغير .. أخبار السادسة صباحاً تحكى عن دراما الرهائن . (مستر) كان اسمه (ديفون هاردى) .. فى الخامسة والأربعين .. محارب سابق فى فيتنام له صحيفة سوابق صغيرة .. لا أسرة .. لا يوجد حافظ واضح ..

كنا فى الثانى عشر من فبراير ، وقد توقعت النشرة الجوية سقوط ثلوج عصرا .. فى السادسة وأربعين دقيقة قادتنى (كنير) بسيارتها إلى المكتب ، ولم أندش عندما وجدت سيارتى (اللكساس) تقف وسط العديد من السيارات ، فساحة الانتظار لا تخلو أبدا . لدينا أناس ينامون فى المكتب ..

دخلت البناية فحييت ضابطى الأمن الجالسين ، واتجهت إلى أحد المصاعد .. ذلك الذى استقلته مع (مستر) أمس .. لماذا اختار شركتنا بالذات ؟ لماذا أنا بالذات ؟ كيف اجتاز موظفى الأمن ؟ لماذا الطابق السادس ؟

ثم لماذا فعل ذلك ؟ هل ربط نفسه بالديناميت لمجرد أن يلوم بعض المحامين الأثرياء على بخلهم ؟ كان بوسعه أن يجد قوما أغنى وأكثر شراهة ..

توقف المصعد فخرجت منه ..

فتحت باب قاعة الاجتماعات .. لا أثر لشيء .. حتى السجادة التى مات فوقها (مستر) قد تم استبدالها بواحدة أفضل .. وقد تم دهان الجدران بطبقة طلاء طازجة .. حتى ثقب الرصاصة فى السقف اختفى .

لقد أنفقوا مالا ليلة أمس حتى يصير الحادث كأنه لم يكن .. وماذا كنت أتوقع ؟ نصبا تذكاريًا ؟ كومة ورود جلبها زملاء (مستر) من المتسكعين ؟

وجدت على مكتبى نسخة من (واشنطن بوست) ففتحتها .. عرفت من المقال المكتوب عن الحادث بعض أشياء .. الديناميت لم يكن كذلك .. كان عصى مكسبة تم طلقها وقطعها لتبدو كالديناميت .. المسدس مسروق ..

باقى المعلومات مصدرها من يدعى (مورديخاي جرين) وهو محام من العيادة القانونية Law clinic فى الشارع ١٤ قرب (لوجان سيركل) .. كان (مستر) يعمل كساع فى مشتل تعليمى ثم فصل من عمله بغرض تخفيض الإنفاق .. دخل السجن بضعة أشهر للسرقه ثم قذف فى الشارع .. طرد بحكم قانونى من مستودع كان ينام فيه . ليس من الصعب معرفة شركة القانون التى تتولى قضايا كهذه بين آلاف الشركات فى واشنطن ..

لم تعلق الصحيفة على الخبر أكثر من هذا .. لو مات المحامون التسعة الأثرياء لكانت قصة مثيرة جدًا .. حمدًا لله أن الأمر ليس كذلك .. أنا الآن أجلس على

مكتبى أطلع الصحيفة .. كان ممكناً أن أكون فى
المشرفة إلى جوار جثة (مستر) ..

★ ★ ★

جاءت (بولى) بعد قليل بابتسامة عريضة وطبق
من الحلوى .. فى الحقيقة جاء كل المحامين التسعة ..
لو تغيب أحدهم لكنت علامة على الضعف ..

جاءت مكاملة من آرثر .. لدينا فى الشركة حوالى
عشرة (آرثرات) لكنه الرجل الذى لا يحتاج لذكر باقى
اسمه .. كان (آرثر جاكوب) كبير الشركاء .. المدير
التنفيذى .. رجل نحترمه ونعجب به ، وقد كلمته ثلاث
مرات لا أكثر خلال سبعة أعوام ..

هنأتى على رباطة جأشى حتى شعرت بأننى بطل ..
وقد طلب أن يقابل الرهائن فى العاشرة .. يريد أن
يسجل إفادتنا على شريط فيديو ..

- « ولماذا ؟ »

كان صوته حاداً كالموسى برغم أعوامه الثمانين
وهو يقول :

- « نرى أنها فكرة طيبة .. نعتقد أن أسرته ستحاول مقاضاة رجال الشرطة .. وسوف يطلب رجال الشرطة منا الدفاع عنهم .. »

حمداً لله .. أين كنا سنكون من دون دعاوى قضائية ؟
رحت أحاول أن أعمل .. أمامى كومة من الملفات ..
لكنى لم أستطع .. لقد تغير كل شيء .. لم يعد مكتبى
يمثل الحياة والموت ..

لقد رأيت الموت . ومن سذاجتى حسبت أن بوسعى
أن أهر كنفى وأواصل حياتى العادية ..

كنت راغباً فى الرحيل .. قلت لـ (بولى) إن لى
مهمة يجب القيام بها .. ذكرتنى بإجتماع (آرثر) ..
استقلت سيارتى وشغلت السخان وجلست فترة أفكر ..
لو لم ألق بالاجتماع لتضايق آرثر .. لا أحد يفوت
اجتماعاً مع آرثر .. لا بأس .. هذه فرصة نادرة
لارتكاب الحماقات .. فأنا تحت تأثير الصدمة ، وسوف
يكون على آرثر أن يقبل هذا ..

كانت السحب تتأهب في الجو والعاصفة قادمة ..
مررت بمتسول على قارعة الطريق فتسألت إن كان
يعرف (ديفون هاردي) ..

قادت سيارتي نحو (لوجان سيركل) حتى وجدت العيادة
القانونية في الشارع ١٤ .. كنت بناية من ثلاثة طوابق بنيت
بالقرميد الأحمر .. بناية فكتورية رأت أياما أفضل .. كان
الباب مفتوحا فمدت يدي للمقبض وولفت إلى عالم آخر ..

كان هذا مكتب محاماة ، لكنه يختلف عن الرخام
والماهوجني في شركة (دريك وسويني) .. كانت هناك
أربعة مكاتب معدنية عليها ملفات .. وكان هناك رف
مخصص للملفات يستند إلى جدار .. عمر الهواتف
ومنسقات الكلمات يتجاوز عشر سنوات ..

كانت هناك امرأة (هسبانية) " شرسة تطبع على
آلة كاتبة سألتني :

« هل تريد شيئا ؟ »

كان هذا تحديا أكثر منه سؤالاً .. ولو أن سكرتيرة في
مكتبنا تعاملت هكذا لطردت . اسمها (صوفيا مندوزا)

٤٦ روايات عالمية .. (محامى الشوارع)

كما عرفت من الاسم على مكتبها .. سألتها عمن يدعى
(موردخاي جرين) ..

كان (جرين) رجلاً أسود بديناً فى الخمسينيات له لحية
رمادية وعوينات مستديرة .. سألتنى بصوت كالرعد :

- « كيف أساعدك ؟ »

- « (ديفون هاردى) »

نظر لى لوهلة ثم للسكرتيرة ، ثم أشار لى إلى مكتبه ..
كان هذا المكتب غرفة ضيقة تتناثر فيها الملفات على
الأرض ..

ناولته بطاقة الشركة ، وقلت :

- « جئت بالسلام .. لقد كانت رصاصة مستر (هاردى)

تفتك بى .. »

- « هل كنت هناك ؟ »

وأخذ شهيقاً عميقاً وزال العبوس عن وجهه .. دعانى
للجلوس على المقعد الوحيد ، فجلست وأنا أدس يدي
فى جيبي معطفى .. أنا الذى بدأت فعلى أن أبدأ الكلام ..
لكنه هو الذى قال أولاً :

- « أعتقد أن يومك كان عصيباً .. »

- « ليس كيوم (هاردي) .. قرأت اسمك في الجريدة لذا جئت .. »

- « لست متأكداً مما هو مطلوب مني »

- « هل تعتقد أن أسرته سترفع قضية ؟ لو كان الأمر كذلك فلربما وجب أن أنصرف .. »

- « لا أسره له .. يمكنني أن أحدث بعض الضوضاء .. لا بد أن الشرطي الذي قتله كان أبيض .. ربما استطعت الحصول على بعض المال من البلدية ، لكن هذه ليست فكرتي عن التسلية ، فالله يعلم أن عندي ما يكفي من مشاكل .. والآن هل هذا سبب قدومك ؟ »

- « لا أعرف سبب قدومي .. لقد ذهبت لمكتبي صباحاً فلم أستطع أن أعمل وهانذا .. »
ثم سأله :

- « أين هو الآن ؟ »

- « مشرحة المدينة .. سوف يعدون له جنازة على سبيل الصدقة .. »

- « هل كان مصاباً بالإيدز ؟ »

- « لماذا تسأل ؟ »

- « لأن دمه تناثر على وجهى لحظة مصرعه .. »

- « كلا .. لم يكن مصاباً بالإيدز على قدر علمى .. »

هنا دخل المكتب رجل ملتجح رسمت على وجهه علامات المحامى الذى يحاول أن ينفذ العالم .. عرفت فيما بعد أن اسمه (أبراهام) .. لم يحفل (جرين) بتقديمى له ، وقال :

- « الجليد قادم . يجب أن نتأكد من أن كل الملاجئ مفتوحة .. »

ثم التفت لى ، وقال :

- « هل هذا كل ما جئت من أجله ؟ الاطمئنان على الدم ؟ »

- « كلا .. أريد أن أعرف لِمَ فعل ذلك ؟ »

- « كان مختل العقل ككل هؤلاء الذين يمضون حياتهم فى الشوارع وينامون فى البرد غارقين فى الخمر ،

ويطردهم رجال الشرطة .. لابد أن تجن .. كان (هارى)
يقيم فى مستودع مهجور اتخذه قواد سابق مأوى لمن
لا بيت له .. ثم جاءت شركة اسمها (ريفر أوكس)
استطاعت الحصول على هذا المستودع وطردت من فيه . »

- « وهناك احتمال لا بأس به أن شركتى هى التى
مثلت (ريفر أوكس) .. »

- « نعم .. يقولون إن الطرد تم دون إخطار مجموعة
المتشردين هذه .. وهم كانوا يدفعون إيجارا .. أى إنهم
كانوا مستأجرين ولم يكونوا مقيمين بوضع اليد .. »

- « وأين هذا المستودع ؟ »

- « لم يعد هناك مستودع .. لقد سووه بالأرض الأسبوع
الماضى .. »

ونظر لساعته . حقاً أخذت من وقته أكثر من اللازم ..
غادرت المكتب وتجاهلت (صوفيا) التى تجاهلتى بدورها .
وفى الخارج كانت سيارتى تنتظر وعينها جليد سمكه
بوصة ..

خمسة

كنت أشعر بالدفاع والراحة فى سيارتى ؛ لذا رحت
أجوب شوارع المدينة وسط الثلج المنهمر ، لا أعرف
أين أذهب .. لكنى لم أرغب فى العودة للمنزل ..

اتصلت بى (بولى) تخبرنى أن (آرثر) يسأل عنى
وكذا (رودلف) .. الكل يبحث عنى .. قلت لها إنى عند
الطبيب ..

- « هل هذا صحيح ؟ »

- « ممكن .. »

فى الرابعة مساء كانت المدينة شبه خالية والسماء
مظلمة ..

اتجهت إلى الشركة ، حيث أخبرنى رجل الأمن أن أكثر
المحامين والموظفين قد عادوا لبيوتهم فى الثالثة بسبب
الطقس اللعين .. ركب المصعد إلى مكتبى وفتحت جهاز
الكمبيوتر أتفقد بيانات عملائنا ..

كانت شركة (ريفر أوكس) قد تأسست عام ١٩٧٧ ومقرها في (هيجرستاون ميريلاند) .. كان محاميها عندنا هو (بريدن تشاتس) .. اسم أعرفه .. إنه يعمل في العقارات في الطابق الرابع من هذه البناية وعمره ٤٤ عاماً .. درس القانون في (دوك) وتخرج في (جستبرج) .. وجدت بيانات استيلاء الشركة على المستودع الذي أعرف أن من بين سكانه مستر (هاردي) .. الرجل الذي أخذ الأمر بشكل شخصي وقرر عقاب المحامين الذين طردوه ..

لم أكن أفهم في العقارات ولسبب ما كنا نعتبر المختصين بها أقل شأنًا من باقي التخصصات .. كنت أنا أعمل في مجال الضرائب ، وهو مجال معقد لكنه يلقي أفضل التقدير في هذه الشركة .. لهذا لم أفهم لماذا يفضل بعض المحامين أن يعملوا في العقارات ..

اتجهت إلى الطابق الرابع وبحثت عن (تشاتس) الذي بدا لي مشغولاً جداً .. كان البروتوكول يقضى بأن أتصل أولاً وأحدد موعداً ، وهذا لم يجعل مزاجه أكثر صفاء ..

كان هناك موظف يتابع حديثنا باهتمام وإن تظاهر بأنه يفتش فى بعض الملفات ..

سألته عن موضوع طرد (هاردى) فبدا عصيًّا ..
أدركت على الفور أنهم تنبهوا للاسم ولا بد أنهم درسوا الملف جيدًا هذا الصباح .. قال لى :

- « كانوا سكاتا بوضع اليد .. »

- « هل أنت متأكد ؟ هل لى أن أرى ملف القضية ؟ »

- « لا .. هذا ليس من شأنك .. وأنا مشغول جدًا لذا
استأذنك فى الرحيل .. »

ابتسمت له وانصرفت ..

عندما مررت جوار الموظف ، سمعته يقول بصوت واضح لا شك فيه :

- « يا له من جحش ! »

يتكلم عن رئيسه .. إذن هناك سبب ما يدعوهم لإخفاء ملف قضية الطرد .. ما هو ؟

كان هناك صراع دائم بينى و (كلير) حول أينما أكثر أهمية .. الجراح أم المحامى ؟ هى كانت تملك الكثير من الطموح .. تحلم بأن تكون أعظم جراح أعصاب فى العالم .. الجراحة التى يلجأ إليها الرجال عندما يفشلون فى كل شىء ..

أما أنا فكنت أحلم بمرتبة الشريك .. فى شركتنا يحصل الشريك على مليون دولار ربما مليونين فى العام .. فلو حققت هذا فى سن الخامسة والثلاثين ، فمعنى هذا أن أمامى نحو ثلاثين عاماً من الثراء ورغد العيش .. هذا هو الحلم الذى كان يبقينا فى مكاتبنا ليلاً ونهاراً ..

كنت أفكر فى (موردخاى جرين) .. كلانا درس القانون وكلانا مر بذات الاختبار ، لكننى أساعد عملاى على ابتلاع منافسيهم حتى يضيفوا المزيد من الأصفار لحسابهم ، بينما هو يساعد المتشردين على العثور على مأوى وطعام ..

هنا أخرجتني من خواطري (كلير) ، إذ اتصلت بى
تسألنى لماذا لم أمرَ عليها فى المستشفى .. قلت لها
إننى كنت مشغولاً .. وهى حيلة أخرى بيننا .. كل طرف
يتظاهر بأنه شديد الاهتمام ..
هذه ليلة أخرى قد فسدت .

★ ★ ★

سـتـة

أخيراً توقف الجليد ، وكنت و (كلير) نرشف القهوة في المطبخ .. كنت أطلع الجريدة في ضوء الشمس الساطعة ، وعرفت أن المطار الدولي صار مفتوحاً للطائرات بعد فترة توقف .

قلت لها :

- « فلنذهب إلى فلوريدا .. »

- « الآن ؟ »

- « أو البهاما .. يمكن أن نكون هناك قبل العصر .. »

أنا لن أعمل لعدة أيام .. »

- « لماذا ؟ »

- « لأنني أنهار .. وفي شركتنا لا بد لمن ينهار أن

يظفر بإجازة بضعة أيام .. »

قالت :

- « لا أستطيع .. »

وهكذا انتهى الموضوع .. كانت مجرد نزوة .. وكنت أعرف كثرة ارتباطاتها .. لم تكن لتأتى معى فى كل الظروف .. إنها محاصرة بالمحاضرات والمرور والجراحات .. حياة طبيب مقيم طموح ..

أوصلتها إلى المستشفى ، ولم تتبادل كلمة ونحن نخترق الشوارع المغطاة بالتلج .. قلت لها بلهجة الأمر الواقع :

- « سوف أسافر إلى ممفيس بضعة أيام .. »

قالت بلا اهتمام :

- « حقاً ؟ »

- « أريد رؤية أبوى .. لقد مر عام وأنا لست فى حال تسمح لى بالعمل .. »

- « اتصل بى إذن »

قالتها وفتحت الباب وخرجت .. لا كلمات وداع ولا حرارة لا قبيلات ..

لقد انتهى كل شئ .. أكره أن أخبر أمى بهذا ..

كان أبواي في أواخر الستينيات من العمر، لكنهما بصحة طيبة .. لقد عملا بجد وادخرا من المال ما يكفي لتعيش في أعلى الطبقة المتوسطة .. كنا صلبين محافظين وطنيين يحبان بعضهما .. وكنا حزينين بسبب طلاق أخي منذ ثلاثة أعوام ..

كان محاميا في أطلانطا تزوج حبيبته في الكلية .. بعد طفلين فسد الزواج وحصلت هي على حضنة الطفلين .. استأجرت سيارة من مطار ممفيس ، واتصلت بأمي لأخبرها بقدومي ..

ما إن رأتنى حتى عانقتنى ، وقالت :

- « تبدو متعبا .. »

وهي تحيتها المعتادة ..

- « شكرا يا أماه .. وأنت تبدو رائعة .. »

وكانت كذلك فعلا ..

سألتنى ونحن نرشف الشاي المثج في الكوخ الخشبي بالحديقة :

- « أين (كلير) ؟ أنتم لا تتصلان بنا أبداً .. لم أسمع صوتها منذ شهرين »

- « بخير يا أماء .. كلانا سعيد وبصحة طيبة وتعمل بلا توقف .. »

- « هل هى فى أمان ؟ »

- « فى أمان كاي شخص فى واشنطن .. إنها تقيم فى المستشفى ، ورأيت أن هذا أفضل مكان يوجد فيه المرء فى تلك المدينة .. »

- « هل تمضيان وقتاً كافياً معاً ؟ »

- « ليس تماماً .. »

يذا قلق الأمهات فى عينيها ، وسألتنى :

- « هل هناك متاعب ؟ »

- « نعم .. »

- « تأكدت من هذا .. بالتأكيد أنت لا تسعى للطلاق .. هل جربت استشارة خبير زواج ؟ لماذا لا تعطى زواجك فرصة ؟ »

- « أحاول يا أمي لكن هذا ليس سهلاً .. »

- « والسبب ؟ »

- « لا شيء .. شخصان يمشيان في طريقين منفصلين ..
أعمل سبعين ساعة في الأسبوع وهى تعمل الثمانين
الباقية .. »

- « المال ليس كل شيء .. »

ورأيت الدمع يتجمع فى عينيها .. كنت أعرف ما
تفكر فيه .. اثنان فشلاً .. كانت تعتبر فشل زواجى فشلاً
لها .. حاولت أن أبتعد عن الموضوع بأن أحكى لها
قصة (مستر) .. لو كانت قد نشرت فى صحف (مفيس)
فقد فاتها أن تقرأها ..

★ ★ ★

قلت لأبى هذا المساء ، ونحن فى ملعب الجولف :

- « لقد سئمت هذه الشركة يا أبى .. »

قال أبى :

- « مرحباً بك فى عالم الواقع .. هل تحسب الرجل
الذى يعمل على مكبس فى مصنع غير منتهك مما يقوم به ؟
على الأقل أنت تكون ثروة .. »

ثم ضرب الكرة ، وقال :

- « هل تفكر فى تغيير مهنتك ؟ »

- « ربما .. »

- « وماذا تعمل إذن ؟ »

- « لا أعرف .. الوقت مبكر لهذا .. »

- « إذن كيف تعرف إن كان العشب أكثر اخضراراً ؟ »

كنت أهاب هذا الرجل ذا الشعر الأبيض كثيراً .. لقد علم ابنه أن يكافحاً وأن يصيراً قويين .. يكونا ثروة وينعما بحياتيهما على الطريقة الأمريكية ..

قلت مفكراً :

- « أفكر فى الخدمة العامة .. »

- « ما هذا بحق الجحيم ؟ »

- « معنى هذا أن تعمل لخدمة الناس دون أن تحصل على ثروة .. »

قذف الكرة من جديد .. لكنها كانت رمية سيئة لأن اهتمامه تشتت ، وقال :

- « أكره أن أراك تفسد مهنة طيبة يا بنى .. لقد عملت بجد لتصل إلى ما أنت فيه .. أعتقد أنك بحاجة لفترة راحة بعيدة عن العمل ، وهذا كل شيء .. »

دعوتهما للعشاء فى مطعم فاخر ، وبذلنا جهداً كبيراً كي لا نتكلم عن الحادث وزواجى والأحفاد الذين لن يرياهم ..
ويوم الجمعة ظهراً رحلت قبل موعد الطائرة بأربع ساعات .. متجهاً إلى حياتى المرتبكة فى واشنطن ..

★ ★ ★

سبعة

بالطبع كانت الشقة خالية عندما عدت مساء الجمعة ..
لكن كانت هناك مذكرة على نضد المطبخ .. إن (كلير)
ذهبت لأسرتها في (بروفي دانس) لبضعة أيام مقتدية
بخطواتي . لم تقل السبب ، لكنها طلبت أن أتصل بها
لدى عودتي ..

اتصلت بأبويها في وقت العشاء ، فعرفت أنها بخير
وسوف تعود عصر الأحد ..

أعتقد أن (كلير) تحكى لأبويها ذات القصة المؤسفة التي
أزعجت أبوي بها يوماً ما - على الأرجح الاثنين - سوف
نجلس معاً في المطبخ ونناقش الأمر ونعترف بأن كل
شيء انتهى .. سوف نتحدث عن مستقبلنا منفصلين ..
أعرف ما سأقول بالضبط ..

خرجت أمشي في المدينة التي ما زال الجليد يكسوها ..
كنت مرهقاً من كثرة العمل .. برغم أنني في الثانية
والثلاثين ، فقد كان عليّ أن أعترف بأنني مرهق ولم
أعد طازجاً كما كنت يوم تخرجي ..

كان الجو شديد البرودة لذا ابتعت شطيرة ، وضعتها
 فى جيبى وعدت لشقتى .. أشعلت ناراً ، وتناولت عشاى
 فى الظلام وحيداً جداً .. فى أمسيات كهذه كنت أجد
 لنفسى العذر كى أذهب للشركة .. لكن غيابى لن يحدث
 أى فارق هناك .. مكتبى سوف يحتله خلال دقائق أى
 واحد من صف المحامين الشبان ..

فى التاسعة دق جرس الهاتف فأفزعنى . كان هذا
 (موردخاى جرين) يصيح :

- « هل أنت مشغول ؟ »

- « لا .. ليس تماماً .. ماذا هناك ؟ »

- « الجليد ينهمر ونحن بحاجة لأيد عاملة هنا .. هل
 لديك ساعات تمنحها لى ؟ نحن بحاجة لمن يساعدنا ..
 المطبخ ومطاعم الحساء مزدحمة ، وليس لدى متطوعون
 يكفون .. »

- « لا أعتقد أننى مؤهل لذلك .. »

- « هل بوسعك أن تدهن الخبز بزبد الفول السودانى ؟ »

- « أعتقد هذا .. »

« إذن أنت مؤهل .. ؟ » .. ن على بعد عشرة مربعات من مكتبى عند تقاطع الشارع ١٣ مع (إقليدس) .. هناك كنيسة على اليمين اسمها (نزر) .. نحن فى القبو . »

كانت هذه منطقة خطيرة .. لابد ان سلاح .. ترى هل يحمل واحداً ؟ لكنه زنجى وأنا لا .. ماذا عن سيارتى الفاخرة ؟

لكنى قلت له وقلبى يخفق :

« سوف أكون عندك بعد عشرين دقيقة »

ارتديت ثياباً رخيصة وانتزعت من حافظتى بطاقة الائتمان وكل ما هو ثمين ، ثم وجدت عندى سترة قديمة ملوثة بالقهوة والطلاء ارتديتها . لشد ما أحتاج إلى سترة واقية من الرصاص .. لكن ما إن خرجت إلى البرد حتى شعرت بإثارة عظيمة ..

وجدت الكنيسة ومكاناً أوقف فيه سيارتى .. اجتزت المدخل إلى عالم الذين لا بيت لهم ..

أصابني الذهول من عدد الفقراء المحتشدين في القبو ..
بعضهم يرقد على الأرض ، وبعضهم يلتف في مجموعات
صغيرة .. كل بوصة مربعة احتلها بشر .. البعض يأكل
على موائد طويلة .. كان المتطوعون يمررون البطاطين
والتفاح ..

المطبخ يعج بالحركة واستطعت أن أرى (موردخاي)
يصب عصير الفاكهة في أكواب ورقية ، بينما ينتظر طابور
من البشر في صبر على الموائد .. كانت الغرفة دافئة
وقد امتزجت روائح الطهي لتصنع خليطاً ليس منفراً ..

سر (موردخاي) لدى رؤيتي ، وقدمني لاثنتين من
المتطوعين .. ثم طلب مني أن أحمل صينية من خبز
أبيض ، وقال :

— « عندك سجق هنا ومستردة ومايونيز هناك ..
ضع مستردة على نصف الشطائر ومايونيز على
نصفها .. شريحة سجق وشريحة خبز .. من وقت
لآخر اصنع دسنة شطائر بزبد الفول السوداني ..
مفهوم ؟ »

ثم ضربني على كتفي واختفى ..

كان المتشردون يقفون بانتظار دورهم .. كل واحد يأخذ سلطانية حساء وملعقة خشبية .. نصف شطيرة ، ثم تفاحة .. وفى النهاية كوباً من عصير التفاح .. وجوه لا تفارق الطعام ..

كانوا يأكلون ببطء لاستبقاء مذاق الطعام ودفئه فى فمهم أطول وقت ..

فى المطبخ كان هناك من يقطع الخضر ، ومن يعنى بالموقد .. حتى هذه اللحظة أنا رجل الشطائر الوحيد ..

قلت لـ (موردخاى) :

- « الخبز ليس طازجاً .. »

- « نعم .. وهو مجانى كذلك .. يتبرع به مخبز قريب .. هل لك فى شطيرة ؟ »

- « شكراً .. تناولت عشائى .. »

- « ما أول كلمة تتداعى إلى ذهنك ؟ »

- « لا جدوى .. »

- « هذا متوقع .. لكنك سوف تعاد هذا وتتقلب عليه .. »

- « كم من الناس يقيمون هنا ؟ »

- « لا أحد .. إنه مجرد مأوى لتقديم الطعام ، لكن الكنيسة تفتحه في وقت العواصف .. »

- « إذن أين يقيم هؤلاء ؟ »

- « بعضهم - وهم المحظوظون - يسكنون بوضع اليد في مبان قديمة .. لكن أكثرهم ينامون في الحدائق أو الشوارع أو محطات الحافلات .. لكن هذا مستحيل الليلة .. »

- « وكم عدد الذين لا بيت لهم في المدينة ؟ »

- « سؤال جيد لأنه من الصعب أن تحصيهم .. أغلب الظن أنهم عشرة آلاف .. »

ثم تركنى ليواصل العمل ، وفي هذا الوقت رحل أحد المسؤولين عن عمل الحساء ؛ لذا وجدت مهمتى هي تقطيع الجزر والكرفس جوار واحدة من المتطوعات تدعى مس (دوللى) كانت تراقب عملى بصرامة ، وقد قالت لى أكثر من مرة إن قطع الكرفس كبيرة ..

سألتها :

- « ألم تعتادى بعد رواية هؤلاء القوم ؟ »

قالت ، وهى تمسح يدها فى منشفة :

- « لن أعتاد أبدا يا عزيزى ، ما زال المشهد يحطم قلبى ، لكن المثل يقول : سعيد هو الرجل الذى يطعم الفقراء .. »

ثم قلبت الحساء ، وقالت :

- « الدجاج جاهز لك .. »

- « وما معنى هذا ؟ »

- « معناه أن عليك أن ترفعه عن الموقد وتصب الحساء

فى إناء ، ثم تنزع العظام عن الدجاج .. »

كان هناك فن خاص لنزع العظام باستعمال طريققتها ،

لكن أناملى احترقت وامتلأت بالفقاقيع حينما انتهيت .

ماذا أفعله هنا ؟ وماذا لو رآنى رفاقى ؟ هنا فى قبو

كنيسة فى بقعة خطيرة من واشنطن .. وسط الذين لا بيت

لهم .. فقط كنت أعرف أن سيارتى قد ضاعت للأبد

على الأرجح ، ومن المستحيل أن أخرج الآن من دون

(موردخاى) .. فتى أبيض ثرى فى هذا المكان هو دعوة

للسطو أو الاعتداء ..

إنها الثالثة صباح السبت وقد وجب أن أرحل .. مشى
 معي (موردخاي) في الشارع ، وشكرني على مجيئي ..
 كانت سيارتي حيث تركتها ، وقد غطاها المزيد من الثلج ..
 وقف الرجل جوار الكنيسة يرقبني وأنا أبتعد ..

★ ★ ★

ثمانية

ثم أعمل ساعة واحدة فى شركة (دريك وسوينى) منذ
لقد لقيت به (مستر) يوم الثلاثاء .. كنت أحصل ثمانى ساعات
يومياً سنة أيام فى الأسبوع .. فإذا تأخرت فى تحصيل
الساعات كنت أمضى اثنتى عشرة ساعة يوم الأحد ..

كنت الآن أرمق السقف فى غرفة نومى صباح السبت ..
لا أستطيع ولا أريد الذهاب للعمل .. الأوراق الوردية
الخاصة بمكالمات الهاتف التى تضعها (بولى) على مكتبى ،
والاجتماعات .. والثروة والقليل والقال .. مع (كيف
حالك ؟) من هؤلاء القلقين على سلامتى .. ثم العمل
نفسه .. شركة تملك بليون دولار تقاضى أخرى ..

أعترف الآن أننى لم أحب عملى قط .. كان مجرد
وسيلة ..

أرغمت نفسى على مغادرة الفراش والوقوف
تحت الدوش ، ثم أظفرت ببعض الكرواسان
والقهوة ..

وصلت إلى الشركة وعلى الفور قابلت أحد زملائي ..
(بروس) شيء ما دخل المصعد وقال لى بجدية :

- « كيف حالك ؟ »

- « بخير .. وأنت ؟ »

لحسن حظى رحل فى الطابق الثانى .. وصعدت إلى
الطابق الذى يوجد فيه مكتبى لأسترخى فى مقعدى
الجلدى .. عدت على مكتبى ٣٩ مذكرة وردية تحوى
المكالمات التى وصلتني .. من الواضح أن (رودلف) اتصل
كثيراً وكان فى حالة جنون .. خمنت هذا من خط (بولى) !
ليذهبوا إلى الجحيم .. أريد أولاً أن أنهى قهوتى فى سلام ..
كنت أفعل هذا عندما ظهر (رودلف) .. لابد أن
الجواسيس أبغوه ..

جلس ووضع ساقاً على ساق ، ثم قال :

- « مرحباً .. »

- « مرحباً يا (رودى) .. »

لم أقل له قط (روى) فى وجهه ، وإنما (رودلف) ..
سألنى دون أى تعاطف :

- « أين كنت ؟ »

- « فى ممفيس .. »

- « ممفيس ؟ »

- « نعم .. أردت أن أرى أبوى .. ثم إن طبيب الأسرة
النفسى هناك .. أراد أن يلاحظنى يومين »

كنت أكذب ولم يضايقتنى الكذب .. إن الشركة تستطيع
متى شاءت أن تكون خشنّة بل قاسية ، وأنا لست فى
حالة تسمح لى بتلقى لوم (رودلف) ..

- « كان عليك أن تبلغ أحدا .. »

قالها فى خشونة ، لكنى كنت أعرف أنه سيلين ..
بعد قليل قال :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « الطبيب النفسى قال إننى بخير .. »

ابتسم ثم غادر مكتبى .. سوف يتصل بأحد المديرين
ليخبره أن فارس الشركة قد عاد إلى سرجه ..

ظلت على المكتب ساعة أليمة ، أحاول أن أفهم شيئاً
من القصاصات هناك .. فى النهاية غادرت المكان ..
قررت دون أن يقبض على أحد ..

★ ★ ★

توقفت أمام صيدلية تعطى تخفيضات فى
(ماساتشوستس) وابتعت أشياء كثيرة .. حفاضات
للأطفال وحنوى وثياباً .. لم أستمتع فى حياتى باتفاق
مائتى دولار كما شعرت فى هذه اللحظة ..

توقفت عند الكنيسة غير شاعر بالخوف كما كنت أمس
لكنى ما زلت خائفاً .. تركت كل شىء فى السيارة ؛ لأنى
لو مشيت مثل (بابا نويل) لبدأت مظاهرة من حولى ..

رحبت بى مس (دولى) وأشارت إلى كومة من
الخضراوات والجلود التى يجب أن تتزع .. وقفت أساعدها
حتى ظهر (موردخاى) ، وحين تلاقى عينانا ابتسم ..

وقفت معه نقدم الطعام على الموائد .. كان صباً
 الحساء فتأ .. ضع حساء كثيراً ولنسوف يرمقك الطاعم
 فى كراهية .. ضع خضراً أكثر ، وسرعان ما لن تجد
 سوى الحساء فى الإناء الكبير .. كان (موردخاي) قد
 أجاد هذا الفن إلى درجة الكمال .. وكان يوزع الاهتمام
 ويرحب بالجميع ، فكان البعض يرد التحية والبعض
 لا يرفع رأسه عن طعامه ..

عند الظهيرة ازدادت صفوف الجياع ، وظهر متطوعون
 من حيث لا تدري ..

عندما بدأت الصفوف تقل ، ملأ كل منا سلطانية
 حساء ووقفنا نأكلها فى المطبخ جوار الحوض .. وقال
 لى موردخاي :

« المشردون لا يهدعون .. يحبون التنقل من مكان
 لآخر ولديهم طقوس وروتين وأماكن مفضلة وأصدقاء
 شوارع .. »

ثم دعاني إلى الخروج في جولة .. كانت سيارته
الـ (توروس) تقف خلف سيارتي (الكساس) .. فقال
وهو يشير لها :

« هذه لن تبقى طويلاً في هذه البقعة من المدينة ..
لو كنت تنوى أن تمضى وقتاً أطول هنا فعليك أن تفكر
في مبادلتها بواحدة أصغر .. »

وانطلقنا في سيارته .. خلال لحظات أدركت أن
(موردخاي) سائق شنيع ، وحاولت أن أربط حزام مقعدى
لكنه كان محطماً .. اقتادنى عبر شوارع لم أرها من
قبل .. شوارع ضيقة فقيرة قذرة .. كل ركن له قصة ..
كل شارع له تاريخ .. يعرف كل متسكع ويعرف كل
رجل دين ..

أرانى مدرسة القانون التى درس فيها وعمل ليلاً ..
أرانى المكان الذى كان باعة الهيرويين يقفون
فيه . ابنه الثالث (كاسيوس) مات هنا على جانب
الطريق ..

طلب منى أن أمر معه على مكتبه ليتفقد بريده ، وقال
وهو يدخل المكان الرطب المعتم :

- « كان عندنا تسعة محامين فى الماضى .. كان هذا
عندما كنا نتلقى منحة الحكومة . اليوم لم نعد نتلقى مليماً
بفضل الجمهوريين فى الحكومة .. كل عام نفقد محامياً
بسبب تخفيض الميزانية .. لا أعتقد أننا سنكون موجودين
بعد خمسة أعوام .. »

كان البرد شديداً فسألته :

- « هل نسيت دفع فاتورة التدفئة ؟ »

- « ربما .. نحن لا نعمل فى أيام العطلة ؛ لأن هذا يوفر
المال .. ومن المستحيل أن تبرد أو تكفى هذا المكان . »

كنت أشعر بأنه يقودنى إلى الشرك ، لكنى ظلت
أسأله عن عمل المحامين فى هذه المؤسسات ..
قال لى :

- « أغلب هؤلاء القوم المشردين لا يعرفون
حقوقهم ، هنا يكون دور المحامى أن يتصل بموظف

بيروقراطي متكاسل ليوبخه .. يكون لهذا مفعول
 السحر . منذ شهر ذهب أحد عملائنا إلى مركز
 التأمينات الاجتماعية لتقديم طلب .. مجرد عمل
 روتيني .. إنه في الستين من عمره ، وظهره يؤلمه
 بشدة .. هكذا يكون حالك عندما تنام على الصخور
 والأغصان لعشر سنوات .. انتظر ساعتين وفي النهاية
 ادخلوه .. انتظر ساعة أخرى ثم وقف في طابور حتى
 واجه سكرتيرة سليطة اللسان .. لقد أهانتة وانتقدت
 رائحته . وفي النهاية انصرف من دون أن ينجز
 شيئاً .. اتصل بي فاتصلت بهم .. لقد أُلقيت عليهم
 موعظة هناك .. على السكرتيرة والمدير ومدير
 المدير .. حتى أرغمت السكرتيرة على الوقوف أمام
 موكلتي ، والاعتذار ثم أنهت أوراقه .. هكذا تكون
 العدالة .. هذا هو العمل القانوني المختص بالشوارع ..
 كرامة الإنسان .. »

لم يكن يطبق البيروقراطية ، وكانت فكرته عن عمل
 المحاماة هي الصراخ والزمجرة ..

وواصل قصصه التى تنتهى كلها بمحامى الشوارع
 باعتبارهم الأخيار ، والمشردين هم المنتصرون ..
 وكنت أفهم أنه يمهد الأرضية لما سيطلبه بعد
 ذلك ..

تسعة

عندما عادت (كلير) عرفت أن أخاها أصيب بداء (هودجكين)^{*} لذا اجتمعت الأسرة فى (بروفى دنس) .. أصغيت لها تحكى عن عطلة نهاية الأسبوع وصدمة الأخبار وكيف بكوا .. إن أسرتها أسرة دموع وأحضان .. وقد اندهشت لأنها لم تطلبنى معها ..

سوف يبدأ العلاج حالاً والأمل كبير ..

سرّها أن تعود للبيت وأن تلقى بحملها على كاهل أحد . كان الأمر شبه رومانسى برغم أننى امتلأت بالندوب حتى لم أعد قادراً أن أكون عاطفياً .. أبيت جزعى بسبب الأخبار ، وقلت عبارات مناسبة ، فلم يكن هذا ما توقعت ولا ما أردت ..

كنت قد أعددت نفسى لمشادة عنيفة ، بعدها نستعد لمواجهة الأمر بنجاعة .. لكنى لم أكن فى مزاج يسمح بأى نوع من العاطفة ..

(*) نوع من السرطان الليمفاوى .

قالت لى إننى أبدؤ مرهقاً فكدت أشكرها .. ظللت صامتاً حتى انتهت ثم بدأنا نتكلم عنى .. أخبرتها بكل شىء عن حياتى كمتطوع فى الملاجئ .

أثار هذا دهشتها .. لم أعد نفس الشخص الذى كنته منذ أسابيع ، ولم تكن متأكدة إن كانت تحب هذا الجديد أكثر من القديم .. أنا نفسى غير متأكد ..

عشرة

بما أننى و (كلير) مدمنا عمل ، فلم تكن بحاجة لاستعمال منبه ليوقظنا ، خاصة صبيحة الاثنين حينما نواجه أسبوعاً كاملاً من التحديات .. صحنونا فى الخامسة وتناولنا الإفطار ثم انطلقنا فى طريقنا ، وكلانا يرغب فى أن يكون أول من يرحل ..

فى طريقى للمكتب أزمعت أن أضع حاجزاً بينى وبين متشردى الشارع .. سأجد وقتاً للعمل التطوعى وأحافظ على صداقة (موردهاى) ، ولربما مررت من وقت لآخر للمساعدة فى إعداد وجبات الجوع .. سوف أكون مفيداً للفقراء أكثر وأنا فى منصبى .. أكثر بكثير مما أفيدهم لو صرت محامى فقراء آخر ..

إذ قدت سيارتى للمكتب شعرت بأننى بحاجة إلى يوم طوله ٤٨ ساعة كي أتمكن من استعادة جدولى .. لقد تأثر عملى كثيراً فى الفترة السابقة ، ولا يثب من هذا القطار المسرع إلا أحقق ..

ركبت مصعداً مختلفاً هذه المرة ، محاولاً أن أنسى (مستر) ..

لقد اتجهت لمكتبى قبل السادسة صباحًا .. شاعرًا بأن
عودتى شيء جميل .. بدأت بتفقد جريدة (وول ستريت)
لأنى أعرف أنها لن تتكلم عن سكان الشوارع ..

على مكتبى وجدت مظروفًا من المانيلا .. الطراز
الذى تستعمل شركتى الملايين منه .. ولم يكن عليه أى
بيانات الأمر الذى أثار ريبتى ..

فتحت الملف فوجدت ورقة من أوراق شركتنا
الرسمية .. وفيها قائمة أسماء الذين تم طردهم من ذلك
المستودع .. وكان الاسم الرابع هو (ديفون هاردى) ..

فى نهاية الورقة كتب مرسل الرسالة المجهول :
« الطرد كان خطأ قانونيًا .. »

كتبها بحروف كبيرة واضح أنه حاول بها ألا يتم
تعرفه لو أننى عرضت الورقة على خبير خطوط ..

أشرق الشمس وسمعت صوت (بولى) فحييتها
كأنه لا توجد مشاكل ..

كان الصباح مزدحمًا بالمؤتمرات والمقابلات ، وقد
أديت عملى بكفاءة برغم أننى لا أذكر حرفًا مما قيل ..
وقد بدأت الشكوك بصدد حالتى العصبية تتلاشى ..

اتصل بي أبى ليظمن على .. قال إن السماء تمطر
فى (ممفيس) وإنه جالس مع أمى فى البيت قلقين
على .. سره أننى ما زلت فى الشركة ، أصنع الثروة
وأبحث عن المزيد ..

اتصل بي أخى (وارنر) من أطلنطا .. كان فارق السن
بيننا قد جعلنا متباعدين فى طفولتى ، وكان محامياً مهماً
يعمل بالساعة ؛ لذا أدركت أن المحادثة مختصرة ..

قال لى :

- « سمعت من أبى الأخبار .. أعرف ما تشعر به ..
عندما كنا فى مدرسة الحقوق سألونا عن يرغبون منا
فى العمل العام فتحمسنا جميعاً .. بعد التخرج بسنتين
صرنا جميعاً لا نريد إلا المال .. لكننى جربت العمل
العام لأن شركتنا تسمح لك باثنتى عشر شهراً إجازة
تمارس فيها ذلك ؛ ثم تعود لتجد كل شىء لم يتغير .. »
يا لك من عبقرى ! هذا هو الحل ! اثنا عشر شهراً أعمل
فيها ما يحلو لى ، ثم أعود لأجد وظيفتى كما هى ..

- « أنت تعرضت لصدمة كبيرة ، وكدت تقتل .. هذه
نقطة مهمة يجب أن تلعب عليها .. قل إنك بحاجة لعام
تستجمع فيه نفسك .. بعدها تعود لهذه الشركة .. »

كان شخصية قوية تعرف ما تريد ، ولم يخسر جدالاً قط .. وهكذا ودعته ، ثم تناولت الغداء فى مطعم فاخر مع (رودلف) و عميل فيما يدعى بـ (غداء عمل) .. ومعنى هذا أنه لا خمور ، وأن العميل سيدفع لنا بالساعة لأننا سنناقش قضيته أثناء الغداء .. (رودلف) يتقاضى ٤٠٠ دولار فى الساعة أما أنا فأتقاضى ٣٠٠ .. استغرق الغداء ساعتين أى إن العميل دفع ١٤٠٠ دولار .. الشركة تدفع ثمن غداءنا لكنها بشكل ما ستضيف الثمن على فاتورة العميل ..

فى الخامسة عصرًا استطعت أن أكون وحيدًا للمرة الأولى ، ففتحت المظروف ..

يتكرر اسم (تشانس) أكثر من مرة فى هذه الأوراق .. إنه المحامى الذى طردنى تقريباً من مكتبه عندما سألته عن قضية الطرد .. مفتاحى للحل هو الموظف الذى كان يتابع المحادثة ، والذى وصف (تشانس) بأنه جحش ..

أجريت بعض مكالمات حتى توصلت إلى أن اسم الموظف هو (هكتور بالما) .. قررت أن أقابله لكن خارج الشركة ..

دعائى (موردخاى) إلى العشاء معه فى مطعم قريب ،
وقد وافقت بعدما أكد لى أن الطعام ليس حساء ..

قال لى :

- « قصة آل (بيرتون) تتضخم .. »

- « آسف .. تعرف أننى كنت فى كهف فى الفترة
الماضية ، فما هذا الموضوع ؟ »

- « قضية صحفية كبرى .. أربعة أطفال مشردون
وأمهم وجدوا ميتين فى سيارة يبيتون فيها قرب
(كابيتول هول) .. هناك حيث يخططون للإصلاحات
التي ستقذف أمهات أكثر إلى الشارع .. هذا جميل . لقد
اتصلت بمجموعة من الناشطين لحضور جنازة هؤلاء
البنساء .. سوف تصور الصحافة أربعة توابيت صغيرة
وتأبونا كبيرا للأم .. سيكون هذا رائعا .. »

- « هذا يعنى أن موتهم لم يمر هباء .. »

بما أننى محام فإننى أتوقع شيئا وراء أية دعوة
للغداء أو العشاء .. وقد رحت أتساءل عما يريد ..

لكننى فوجئت بعد ذلك عندما عرفت من أسماء الموتى أن الأطفال وأمههم كانوا من هؤلاء الذين طردتهم شركتى من المستودع ، والذين وجدت أسماءهم فى المظروف الغامض .. لا يمكن أن أعلن هذا ؛ لأننى أعرفه بحكم عملى فى الشركة .. وهو نتيجة ثقة العميل بنا ..

قال لى (موردخاى) ما كنت أتوقعه :

- « نحن بحاجة لمحام جديد يمضى عشر ساعات فى الأسبوع .. نحتاج لمحام يجلب لنا بعض المال لأن المؤسسة تنهار .. بقاؤنا يعتمد على ذلك .. »

- « وما هى جوانب هذه الوظيفة .. ؟ »

- « محاماة الشوارع .. أنت رأيت العمل عندى .. (صوفيا) متمرة و (أبراهام) جحش .. الزبائن رائحتهم كريهة .. »

- « وكم تدفعون ؟ »

- « يمكن أن أعددك بثلاثين ألفاً فى العام .. أنت متعلم وسيم تجيد كسب الناس وكل هذا الهراء ؛ لذا أعتقد أنك قادر على جلب بعض المال .. »

كنت أتوقع هذا العرض .. لكنى كنت خائفاً .. لقد فتح
لى باباً كنت أخشى أن أجتازه ..

قال لى :

« أنت لا تفعل هذا من أجل المال على كل حال ..
بل تفعله من أجل روحك .. »

روحي هي التى أبقتنى ساهراً طيلة الليل .. هل بوسعى
أن أرحل من شركة (دريك وسوينى) ؟

فى الواقع معنى رحيلى أن أقول الوداع للملايين ..
كل ما حلمت به سوف يصير ذكريات باهتة ..

ربما كان الوقت مناسباً .. لقد فشل زواجى وحن
الوقت لبعض التغيرات الدرامية على كل الجبهات ..

أحد عشر

أبلغت الشركة أنني مريض اليوم .. « أعتقد أنها
الإنفلونزا .. »

لكن (بولى) كانت تريد تفاصيل .. حمى أم احتقان
فى الحلق أم صداع ؟ أم كل ما سبق ؟ لا يهم .. سوف
تملاً نموذجاً ترسله لـ (رودلف) كما هى العادة فى هذه
الأمور ..

كان (رودلف مايرز) قد صار شريكاً فى سن
الثلاثين .. كانت المحاماة هى كل حياته كما يمكن أن
تخبرك زوجاته الثلاث السابقات .. ولو استمرت حياته
كما يخطط لها فاسوف يصير أقدم شريك عامل ..
وفيما عدا هذا كان كل شىء يلمسه يتحول إلى
كارثة ..

كان فى انتظارى فى السادسة مساءً فى مكتبه ..
وكان أكثر العاملين قد انصرفوا .. أغلقت الباب ، وجلست
أمامه ، فقال لى :

- « حسبت أنك مريض .. »

قلت :

- « أنا راحل يا (رودلف) .. »

قلتها بشجاعة لكن معدتى كانت تعصر ..

أزاح الكتب جانباً وأعاد غطاء قلمه الثمين ، وقال :

- « أنا مصغ .. »

- « أنا راحل .. لدى عرض بالعمل لدى شركة حمامة

معنية بالشئون العامة .. »

- « لا تكن غيباً يا (مايكل) .. لسوف نصير شريكاً

خلال ثلاثة أعوام .. »

- « أنا لست غيباً .. فقط تلقيت عرضاً لا بأس به .. »

- « لا يمكن أن تنهار لمجرد حادث كهذا .. لم يفعل

واحد من الرهائن مثلك »

- « هذا من حسن الحظ .. لكن هذا شأني الخاص .. »

- « خذ إجازة لشهر .. اعمل مع المشردين لو أردت
لكن عد .. هذا أسوأ وقت للرحيل »

- « لا أريد أن تكون هناك شبكة أمان تحتى
يا (رودلف) .. هذا يفقد الأمر متعته .. »

- « وماذا عن (كلير) ؟ »

لم يكن يعرفها ، وهو على كل حال آخر من يصلح
مستشار زواج فى الشركة ..

- « ستكون بخير .. أنا راحل الجمعة .. »

أغمض عينه ، وتنفس بعمق .. ثم قال :

- « لا أصدق ما أسمعه .. »

اتصلت بـ (بولى) أخبرها ، لأنى لم أرد أن تكون آخر
من يعلم .. ثم ابتعت بعض الطعام التايلاندى ، وعدت
لشقتى وبدأت أسمع مقاطع دورى الذى سأؤديه ..

مع الأعوام تعلمت أنا و (كلير) فن تجاهل بعضنا
بدلاً من الشجار ..

كانت الساعة العاشرة وكانت قد تناولت عشاءها مبكراً ،
لذا ذهبت إلى المدفأة وأوقدت النار ، ثم جلسنا في مقعدينا
المفضلين .. بعد دقائق ، قلت لها :

- « يجب أن نتكلم .. »

سألت بلا مبالاة :

- « ماذا هناك ؟ »

- « أفكر في ترك (دريك وسوينى) .. »

- « حقاً ؟ »

وأعجبت ببرودها .. فأردفت :

- « أنا متأهب لتغيير .. فجأة صار العمل في هذه
المؤسسات الضخمة مملاً لى .. أريد عمل شيء يساعد
الناس .. لقد حكيت لك عن (موردخاى جرين) ..
الوظيفة عنده ، وسوف أبدأ الاثنين .. »

- « الاثنين ؟ إذن أنت اتخذت قرارك بالفعل دون أن
تطلب رأى .. »

للحظة لمع الغضب فى عيناها ثم تلاشى .. كانت سيطرتها
على نفسها مذهلة ..

- « هل لى أن أعرف تأثير هذا على دخلنا ؟ »

- « سيؤثر .. الراتب ثلاثون ألف دولار فى العام »

- « ثلاثون ألفا ؟ هذا أقل من راتبى أنا .. »

ككل طالب مجنون فى البلاد كانت تؤكد عندما دخلت
عالم الطب أنها لا تريد المال .. تريد أن تساعد البشرية ..
كلنا كذينا أو لم نفهم أنفسنا ..

كانت ترمق النار ويبدو أنها تعيد الحسابات .. إيجار
الشقة ٢٤٠٠ دولار فى الشهر وهى شقة ممتازة
فاخرة .. لكننا لا نقيم فيها تقريبا ..

ما زلت مندهشا من قلة ما ادخرناه من مال خلال
ست سنوات .. كان المال يبدو بلا نهاية ..

قالت :

« أنا متعبة .. »

وأفرغت كأسها ، ونهضت إلى غرفة النوم ..

يا لتأثرها ! خطر لى أننا لم نعد نملك قدراً من
الضغينة يسمح بمشاجرة طيبة ..

بالتأكيد تحسبني جننت ، لكنها لم تستطع أن تنتقد
القديس الذى صرته .. وضعت لوح خشب آخر فى
الموقد ، ونمت على الأريكة ..

★ ★ ★

اثنا عشر

على الغداء الفاخر الذى دعانى إليه (رودلف) قدم لى عرض الشركة السخى ، وهو أن تمنحنى الشركة إجازة لمدة سنة أمارس فيها حمامة الشوارع كما أريد .. مقابل نفس الأجر الذى يمكن أن أناله من تلك المؤسسة الخيرية .. لابد لشركتنا من أن تسهم فى إنقاذ الجوع بدورها ، وبعد سنة أعود لها وقد أعدت شحن بطارياتى ..

كان العرض سخياً وبالطبع من العسير أن أرفضه .. لذا طلبت مهلة للتفكير . فى العام الماضى حققت للشركة ٧٥٠ ألف دولار ، لذا يدعونى للأكل فى هذه القاعة الفاخرة ، وأصغى لخططهم للاحتفاظ بى ..

قابلت (هكتور) كاتب المحامى فى المكتبة بالطابق الثالث .. لم أرد أن أقابله مباشرة حتى لا يشعر (تشامس) بشيء .. بعيداً عن كاميرات الأمن وأى شيء آخر ..

سأنته بشكل مباشر :

- « هل أنت من وضع ذلك الملف على مكتبى ؟ »

لم يكن هناك وقت للألعاب .. نظر لى وتلفت حوله
كأنما هناك قناصة يطارذونه :

- « أى ملف ؟ »

- « ملف شركة (ريفر أوكس) الخاص بطرد المقيمين
فى المستودع .. »

لم يكن يعرف مدى معلوماتى فضل ينظر لى فى حيرة ،
فسألته :

- « أين الملف ؟ »

راح يقلب الكتاب الذى يحمله كأنما هو مشغول جدًا ،
وقال :

- « (تشانس) يحتفظ بكل الملفات فى مكتبه .. »

صرنا الآن نتكلم همسًا .. بالفعل لو رأنا أحد الآن
لنقدر أننا بصدد أمر مريب ..

- « وما الموجود فى الملف ؟ »

- « لدى زوجة وأربعة أطفال ، ولست أبغى أن أطرد ..
أنت ستترك الشركة ولا يهتمك الأمر .. »

الأنباء تنتقل هنا سريعاً .. ترى من الذى نقل النبأ
لكل الشركة ؟ هل (رودلف) ؟

- « أريد هذا الملف .. »

- « ليس عندي .. لو أردت أن تحصل عليه فعليك
أن تصرقه .. »

- « جميل .. وكيف أجد المفتاح ؟ »

- « ليس معي .. »

- « إذن من أين جئت بقائمة أسماء المطرودين ؟ »

نظر لى فى عدم فهم ، ثم قال :

- « لا أعرف ما تتكلم عنه .. أنت مخبول تماماً .. »

وابتعد .. توقعت أن يتوقف لكنه ابتعد .. ابتعد حتى
غادر المكتبة ..

أغلقت الباب ورحلت أرمق الغرفة .. أبتمس لكل شيء
أتركه خلفي ، وفى كل لحظة أشعر بأن الضغط يزول ..
لن أعمل ثانية والساعة تلتف حول حلقى .. لن أعمل

٨٠ ساعة في الأسبوع خشية أن يعمل زملائي ٨٥ ..
لا كوابيس بصدد أن تفوتني فرصة أن أصير شريكاً ..
اتصلت بـ (موردخاي) وأخبرته أنني اخترت العمل
معه ، فضحك وتندر على تدبير طريقة للإففاق على ..

عندما عدت للدار في السادسة وجدت (كبير)
جالسة إلى منضدة المطبخ ، وأمامها كومة من الأوراق
وآلة حاسبة وأوراق حسابات الكمبيوتر ..

قالت لي في برود :

- « أقترح الطلاق على أساس الاختلافات غير القابلة
للتقريب .. نحن لا نتشاجر ولا نلوح بأصابعنا في وجه
بعض .. لكننا متفقان على أن زواجنا انتهى »

وانتظرت أن أقول شيئاً .. ماذا عساي أقول بعد هذا ؟
ما بوسعي هو أن أكون بارداً مثلها .. قلت لها :

- « بالتأكيد .. »

وإن ضايقتني أنها ترغب في الطلاق أكثر مني .. لقد
طلبت رأي محام كذلك لمعرفة مالها وما عليها ..

- « ولماذا تحتاجين إلى رأي محام ؟ هل تعتقدين أنني
قد أخدعك ؟ »

- « أريد أن أشعر بالحماية .. أنت محام لذا أريد أن يكون معى محام .. الأمر بسيط .. »

ثم قمت لى الحرز (أ) : بيان بممتلكاتنا .. والحرز (ب) : طريقة مقترحة لتقسيم هذه الأملاك .. وأدهشنى أنها لم تقسم مناصفة بل اختصت نفسها بالجانب الأكبر ..

- « هذا التقسيم ليس عادلاً .. »

قالت فى ثقة :

- « وهذا طبيعى .. لأننى لست الشخص الذى يمر بأزمة منتصف العمر .. أنت تريد أن تجن .. هذا حقك .. لكن لا تتوقع منى أن أتصور جوعاً »

تمنيت أن أصرخ وأتساجر ، لكن هذا ليس بوسعى . لا أستطيع أن أفذف الأشياء .. ولن نبكى .. أى طلاق هذا ؟ طلاق معقم غريب ..

الحرز (ح) : كان قائمة دقيقة لمحتويات البيت .. المناشف وأغطية الفراش .. قلت لها :

- « خذى كل شىء تريدينه .. »

كنت أحتفظ بهذه الأشياء ليس للذة الاقتناء بل عن
كراهية لفكرة نقلها ..

سوف نوقع وثيقة انفصال .. وبعد ستة أشهر نذهب
إلى المحكمة لننهي الزيجة رسمياً ..

أخذت معطفي وخرجت أمشي في شوارع
(جورج تاون) .. متسائلاً كيف تغير كل شيء بهذا
الشكل الدرامي .. الأمور تتحرك بأسرع مما أستطيع أن
أوقفها ..

★ ★ ★

ثلاث عشر

لم تقبل الرعوس الكبرى فى الشركة ذلك العرض الذى قدمه (رودلف) بمنحى إجازة لمدة عام ، فهى سابقة خطيرة ، وقد خافوا أن تنهال عليهم المطالبات بمعاملة مماثلة .

لكن لم يكن هذا الموضوع فى ذهنى وقتئذ ، فقد صرت مطلقاً ووحيداً وبلا بيت كذلك .. سوف أبيع السيارة لأستغنى عن قسطها الذى يبلغ ٤٨٠ دولاراً فى الشهر .. وقضيت أكثر الصباح أبحث عن شقة جديدة .. للأسف كانت أرخصها تكلف ١١٠٠ دولار فى الشهر ، وهذا سعر أعلى بكثير من قدرات محامى شوارع ..

عندما عدت للشركة ظهراً وجدت مظروفاً آخر من المانيلا على مكتبى .. كان المظروف يحوى مفتاحين ، ومعهما مذكرة تقول : « المفتاح الأول لمكتب (تشانس) .. الثانى لخزانة الملفات . الدرج تحت النافذة .. انسخ الملفات ثم أعدها للشركة لأن (تشانس) من النوع كثير الربية .. »

هنا ظهرت (بولى) فجأة كعادتها .. لا قرعات على الباب ولا صوت ، وإنما تظهر فجأة كشبح .. كانت قد عملت معى أربع سنوات ، ولم تكن علاقتنا لصيقة لهذا الحد .. سرعان ما يتم تعيينها فى مكان آخر ..

لم أدر إن كانت لاحظت المظروف أم لا ، لكنها تشاغلت بوضع حاجياتى فى صندوقين من الورق المقوى .. وتساءلت عن الذى وضع المظروف .. كيف استطاع أن يمر لمكتبى أمام سمعها وبصرها ؟

أغلقت الباب ورحت أتأمل المظروف لأقرر ما يجب عمله به .. كنت قد افترضت أشياء : أولاً : أن المفتاح صحيح .. ثانياً : هذا ليس مقلباً .. ثالثاً : الملف فى المكتب فعلاً .. رابعاً : يوسعى سرقة دون أن يقبض على .. خامساً : يمكن نسخه فى وقت قصير .. سادساً : يمكن إعادته .. سابعاً : - والأهم - من الواضح أن فيه دليلاً كارثياً .. كل هذا سهل لكن نسخه هو التحدى الحقيقى .. لا يوجد فى شركتنا ملف ثقل صفحاته عن مائة ، ومعنى هذا أن على أن أقف أمام آلة تصوير المستندات لفترة طويلة معرضاً للكشاف .. ثم إن

المحاميين لا يصورون وإنما تفعل ذلك السكرتيرات ..
 وآلة التصوير معقدة عالية التقنية جاهزة كى تتحشر
 فيها الورقة لحظة ضغط الزر فتكون الفضيحة ، دعك
 من أنها مزودة بعداد يسمح بخروج فاتورة للعميل ..
 يجب أن أخرج من الشركة بالملف .. وهذه جريمة ..

على كل حال دخلت قسم العقارات فى الرابعة ، وقد
 شمرت كمى ، ومعى كومة ملفات كان لدى عملاً خطيراً
 هناك .. كان (تشانس) هناك وبابه موارب بينما صوته
 يدوى عبر الهاتف .. لم تكن هناك كاميرات أمن تراقب من
 أعلى .. من ذا الذى يفكر فى سرقة شىء من قسم
 العقارات ؟

غادرت فى الخامسة فابتعت شطائر ، واتجهت لمكتبى
 الجديد ..

شركائى كانوا هناك .. وقد خرج (موردخاى) مرحباً
 ليبرنى مكتبى الجديد .. كان فى نصف حجم هذا الذى
 غادرته ، وهناك خزنة ملفات جوار الجدار .. لم يكن هناك

هاتف .. هناك آلة تصوير مستندات من طراز الثمانيات العتيق . ليست فيها بهرجة آلات شركتى السابقة ..

ناولنى (موردخاى) حلقة بها ثلاثة مفاتيح ، وقال لى : إن بوسعى أن آتى متى أردت .. لكن .

- « كن حذراً .. أوقف سيارتك أمام الباب بالضبط .. امش لها بسرعة ، ثم أغلق الباب عليك فوراً ! »

لا بد أن الخوف بدا فى عينى ، فقال :

- « سوف تعتاد هذا .. كن ذكياً .. »

فى السادسة والنصف عدت لسيارتى .. لم يتحرج بي أحد .. لم ألق رصاصة ولم تخدش سيارتى .. ربما كان بوسعى أن أعيش فى هذا العالم ..

استغرقت إحدى عشرة دقيقة للعودة إلى الشركة .. لو افترضنا أن نسخ الملفات يستغرق نصف ساعة .. إذن سيظل الملف خارج الخزنة ساعة كاملة ..

فى الثامنة مساء عدت لقسم العقارات متظاهراً بأننى مشغول جداً .. لم يكن هناك أحد فى مكتب (تشانس) ثم تفقدت كل المكاتب وقرعت الأبواب .. بحثت عن الكاميرات ..

فتحت مكتب (تشاتس) .. ووقفت فى الظلام
لا أعرف إن كان بوسعى أن أضىء النور أم لا .. لو
مر شخص بالبنائة فمن العسير أن يحدد الضوء فى أى
مكتب .. ثم إن الظلام دامس ، وليس معى كشاف ..

أغلقت الباب وأضأت الأنوار .. بحثت بين الملفات
حتى وجدت دسنة منها كلها تحمل عنوان (ريفر
أوكس) .. (تشاتس) وسكرتيرته منظمان ..
بدأت أفتش فى ملف غليظ .. أردت أن أتأكد من أنه
الملف المطلوب ..

فجأة سمعت صوت رجل يصيح فى الممر :

« هيه ! »

وثبت داخل جلدى .. ثم جاء صوت رجل آخر وبدأت
محادثة .. محادثة عن كرة السلة ..

مشيت للباب بقدمين من مطاط وأطفأت النور .. ثم
جلست على أريكة (تشاتس) لمدة عشر دقائق .. لو رأونى
أخرج من الباب والملف ليس معى فلا شىء ضدى .. إن
غدا يومى الأخير فى الشركة على كل حال ، أما لو رأونى
والملف معى فهى نهايتى ..

بدأت الأصوات تخفت ، فأغلقت الدرج وأخذت
الملف ..

سبع دقائق .. ثمان .. تسع ..

فتحت الباب ونظرت عبر الردهة .. لا أحد .. مشيت
خارجاً من المنطقة ، والملف معي وأنا أظاهر بأننى
طبيعى ..

- « هيه ! » -

سمعت صوتاً من خلفى فاستدريت عبر المنعطف ،
وحصلت على لمحة مما يجرى خلفى فرأيت رجلاً يحاول
اللقاء بى .. وجدت مكتباً مفتوحاً فدخلته على الفور ..
كانت مكتبة صغيرة ، فمشيت بين الأرفف حتى
وجدت باباً يقود للناحية الأخرى ..

وجدت مخرجاً ودرجات تهبط للأسفل فرحبت
أركض .. بلغت الطابق الأرضى بلا معطف .. الطقس
بارد بالخارج لدرجة التجمد .. فركضت إلى السيارة ..

لماذا جريت من ذلك الشخص ؟ هو لم يرني أغادر مكتب (تشماس) .. كان بوسعى أن ألبى نداءه وأثرثر معه .. ولو أراد أن يرى الملف لصرفته مازحاً .. ترى هل عرفنى ؟ لماذا نادانى بهذه الطريقة لو عرفنى ؟

على كل حال قدت سيارتى ..

كان من المستحيل على أن أعرف أن هناك عملية تهريب مخدرات قد ضبطتها الشرطة ، وأن شرطياً أصيب بالرصاص ، وأن سيارة (جاجوار) خاصة بتاجر المخدرات تندفع عبر الشارع الثامن عشر ..

كان الضوء الأخضر يسمح لى بالمرور لكن الفتية الذين أصابوا الشرطى لم يبالوا بقواعد المرور ، وفجأة لمحت الجاجوار كأنها طيف ثم انتفخ كيس الهواء الواقى من الصدمات فى وجهى . حينما استعدت رشدى كان الباب الأيسر يضغط على كتفى ووجوه سود تحرق فى عبر الزجاج المحطم .. سمعت صفارات إنذار ثم غبت عن الوعي ..

فك أحد المسعفين حزام الأمان عني ، وسألنى إن كان بوسعى المشى .

قلت وأنا أجلس على حافة المحفة :

- « أنا بخير .. »

وإذ حملوني لسيارة الإسعاف رأيت (الجاجوار) مقلوبة
يحيط بها رجال الشرطة والناس .. أخذوني إلى
الطوارئ في مركز (جورج واشنطن) ، وحققوني
بالمسكنات .. صحوت في وقت ما من الليل لأجد
(كلير) تنام على مقعد جوار الفراش ..

★ ★ ★

أربع عشر

رحلت (كبير) قبل الفجر ، وقالت لى مذكرة لطيفة
جوار الفراش إن عليها القيام بالمرور الصباحى ، وإنها
ستعود فى منتصف النهار .. لقد تكلمت مع الأطباء
ومن المحتمل أننى لن أموت .. هكذا ظهرنا أمام الناس
زوجين متعاطفين متحابين .. لن يتخيل أحد أننا ننهى
إجراءات الطلاق ..

مرحبًا بك فى شوارع واشنطن الفقيرة ..

الحقيقة : كان تواجدى فى هذا الركن من المدينة بعد
الظلام معناه الانتحار ..

ضلوعى تؤلمنى عند النفس وذراعى زرقاء منتفخة ،
ورأيت وجهى فى المرأة وقد صارت له ملامح جديدة ..
لاشئ خطير .. سيزول كل هذا على نهاية الأسبوع ..
جاءت لى الممرضة بعض الأقراص فرفضتها ..
لا أريد مسكنات لأننى أريد أن احتفظ بذهن صاف ..

أجريت بعض الاتصالات فعرفت من سكرتيرة فى
إدارة المرور أن السيارات المحطمة تنقل إلى أرض

خلاء فى طريق (راسكو) فى الشمال الغربى .. هكذا اتصلت بـ (موردخاى) لأسأله عن طريقة العثور على سيارة محطمة .. وعد بأنه سيبحث ويتصل بى ..

عند الظهر جاءت (كلير) فتحدثت مع طبيبى الذى سمح لى بالرحيل ، وسرعان ما كانت توصلتنى بسيارتها للبيت حيث أعدت لى حساء طماطم ثم اتصرفت عائدة لعملها ..

عرفت مكان سيارتى عن طريق (موردخاى) فتجهت إلى هناك بوساطة سيارة أجرة قمت باستجارها هاتفياً .. عرفت السيارة (الكساس) عندما وقفت خلف السلك الشائك أرمى السيارات المحطمة المكومة فوق بعضها . لقد أطار التصادم جانبها الأيسر .. قال لى السائق عندما رأى المشهد :

« أنت رجل محظوظ فعلاً »

لكننا لم نستطع الدخول .. كان هناك مكتب لكنه مغلق ، والبوابات مغلقة بجنزير ثقيل .. هكذا طلبت منه الذهاب إلى شركة لتأجير السيارات .

عدت لدارى لأتناول آخر وجبة لى مع (كلير) باعتبارنا زوجاً وزوجة .. قدمت لى الطعام ثم سألتنى :

- « هل تعرف من يدعى (هكتور بالما) ؟ »

ابتلعت الطعام بصعوبة ، ثم سألتها :

- « ما شأنه ؟ »

- « اتصل بك عدة مرات .. من هو ؟ »

- « موظف فى الشركة كان على أن أعاونه .. إنه فى ورطة »

- « هذا أكيد .. إنه يريد لقاءك فى بار يدعى (نلتان) فى تقاطع شارعى (إس) و (إم) التاسعة مساء .. »

- « ولماذا بار ؟ »

- « لم يقل .. هل هذا مريب ؟ »

تلاشت شهيتى لكنى واصلت الأكل كى أبدو طبيعياً أمامها ..

★ ★ ★

مشيت فى شارع (إم) من دون سيارتى لأن إيجاد مكان لإيقاف سيارة مستحيل مساء الجمعة ، دعك من حاجتى إلى تحريك عضلاتى ..

لا يمكن أن يعنى هذا اللقاء إلا المتاعب .. فكرت فى أكاذيب أبرر بها تصرفاتى وأكاذيب أبرر بها الأكاذيب .. من الممكن أن يكون (هكتور) يحمل أجهزة تنصت الآن .. سوف أصغى ولا أتكلم ..

كان البار نصف خال وقد جئت قبل موعدى بعشر دقائق ، لكنه كان هناك ينتظرنى .. وثب وصافحنى فى حرارة كأنه لم يرنى من قبل .. ودعانى إلى الجلوس ..

- « ماذا حدث لوجهك ؟ »

- « قبلت كيس هواء .. »

- « نعم .. سمعت عن الحادث .. يبدو أن الآخر قد مات .. تاجر مخدرات هو . أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. »

ولاحظت أنه يتحكم فى المحادثة تحكما كاملاً وأن ردوده تأتى أسرع من أسئلتى .. جاء الساقى فسألنى عما أُرغب فى شربه فطلبت قهوة سادة .. هنا شعرت بقدمه تركل قدمى تحت المنضدة .. وعندما وقف الساقى بيننا ليحجبنا عن الرؤية رأيت (هكتور) يرفع سبابته ويشير إلى صدره ..

إذن هو يحمل جهاز تنصت وهم يراقبونه كذلك ..
هذا يفسر تحيته الحارة كأننا لم نلتق قط ..

قال لى :

- « أنا كاتب فى قسم العقارات .. لا بد أنك قابلت
(برادن تشانس) محامينا .. لقد التقينا مرة عابرة
عندما زرت مكتبه منذ أسبوع .. »

- « هذا صحيح .. »

بما أننى مراقب فمن الخير ألا أتكلم إلا بمقدار .. ثم
أضفت :

- « فى الحقيقة أذكر الموقف لكن لا أذكر وجهك .. »
غمرت وجهه ابتسامة خفيفة ولمست قدمه قدمي ..
نحن نرقص على النحن ذاته ..

- « سبب لقائنا هو أن هناك ملفاً فقد من مكتب
(تشانس) .. »

- « وهل أنا المتهم ؟ »

- « لا .. لكنهم يشتبهون بك .. إنه نفس الملف الذى طلبته من (تشانس) وكدت تتشاجر بسببه .. الشركة تحقق مع كل شخص يمكن أن يخطر ببالها .. »

- « إذن لا علاقة لى بالأمر ، فلا يمكن أن أسرق ملفاً من زميل »

- « هل تقبل أن تخضع لجهاز كشف الكذب ؟ »

طبعاً .. قتلها وأنا أعرف أنه لا توجد قوة على الأرض ترغمنى على الخضوع لجهاز كشف الكذب ..

- « هم كذلك يأخذون البصمات .. »

لم يخطر لى هذا .. بصماتى على مفتاح النور والخزانة و .. كل شيء .. على كل حال قررت أن أكون عنيفاً ، لذا قلت :

- « لا أحب طريقك .. لو كنت تتهمنى بشيء فلتفعل .. اذهب إلى رجال الشرطة وأخبرهم بكل شيء .. هذه جريمة سرقة .. إذن من واجبك أن تقبض على السارق .. »
قال :

- « هناك كذلك ملف وجدناه فى مكتبك .. ثمة شخص قال لك إنه أرسل لك مفتاحين لخزانة (تشانس) ! »

كانت أثارى تتسع .. لقد تدربت كي أكون محامياً
لألصاً .. ويبدو أن الموضوع أعقد مما تصورت .. لقد
وصلتني الرسالة على كل حال .. الشركة تريد الملف ..
بما فيه .. وهى تعرف يقيناً أننى من أخذه ..

نهضت معلناً نيتى فى الانصراف فسألنى :

- « متى تجتاز اختبار كشف الكذب ؟ »

- « سوف أتصل بك »



خمس عشر

عن طريق علاقات (موردخاي) وشرطى يدعى (بولى) تمكنت أخيراً من الوصول إلى سيارتى فى تلك الساحة التى أنقوها فيها .. دخلت إلى الحطام وبحثت عن الملف .. لم أجده للحظة مرعبة، ثم مددت يدي تحت المقعد الأمامى فوجدته .. وضعته تحت إبطى كأنه من ذهب ..

قال لى الشرطى الذى يحرس السيارات المحطمة، قال :

« تعال معى .. »

وفى الداخل دون مواصفات المظروف والمكتوب عليه بدقة .. لديه الآن كل ما يثبت أننى أخذت مظروفاً بهذه المواصفات من حطام سيارتى .. أثارى تزداد اتساعاً ..

لم يكن (موردخاي) يعرف عن الملف إلا أنه مهم .. كنت متلهفاً على تصفح الملف لكنى قاومت ذلك حتى أصير وحدى فى شقتى الجديدة ..

كانت شركة (ريفراؤكس) تبّاع كل العقارات الرخيصة في المنطقة المتهاكة من المدينة .. وكانت شركة TAG شركة مربية غير مسجلة بشكل قانوني ، يديرها من يدعى (تلهان جنتري) الذي يصفه الملف بأنه قواد سابق قبض عليه مرتين من قبل .. أمثاله كثيرون في هذه المدينة .. بعد اعتزاله الجريمة قرر أن يتاجر في العقارات والسيارات المستعملة . بدأ يبتاع العقارات المهجورة ويؤجرها .. الملفات تظهر أربعة عشر عقاراً ملك هذا الرجل ..

هنا يلتقى طريق الرجل بشركة (ريفراؤكس) حينما احتاجت هيئة السبريد لمساحات إضافية .. وقد أسندت مهمة الحصول على أرض إلى شركة (ريفراؤكس) .. وهناك عقد مرفق بمليون دولار ونصف مضمونة الدفع سنوياً لمدة ٢٠ عاماً .. بشرط توقيع العقد النهائي قبل ١ مارس وإلا اعتبر الاتفاق ملغياً ..

على الفور انطلقت شركة (ريفراؤكس) للعمل .. ابتاعت أربع منكيات في المنطقة قرب المستودع الذي يعيش فيه أولئك اللاجئين . لقد اقرب الأول من مارس فلم يعد باقياً إلا أسبوع ..

الآن أفهم لماذا اكتشف (تشانس) اختفاء الملف
بهذه السرعة .. لقد كان يتعامل معه يوماً بيوم ..

اشترت TAG المستودع في يوليو الماضي بمبلغ
غير مذكور في الأوراق .. ثم اشترته منها شركة
(ريفر أوكس) بمائتي ألف دولار قبل تنفيذ حكم الطرد
بأربعة أيام ..

كنت قد فرشت الأوراق على الأرض ورحلت أدرس
كل ورقة ، وأقوم بتدوين ما فيها في مذكرة صغيرة
توطئة لإعادتها إلى موضعها الدقيق من الملف .. كل
شيء مرتب ومفهرس بدقة كما علمونا في الشركة ..
حيث كل وثيقة لا يمكن العثور عليها في ثلاثين ثانية
لا قيمة لها ..

بمساعدة رجل شرطة و (فتوات) من شركة خاصة توجه
(هكتور بالما) إلى المستودع لإخلائه ممن فيه .. كان
هذا يحتاج إلى شجاعة غير عالية ، وكما كتب (هكتور) :
« كانت الأم تقام على الأرض مع أطفالها الأربعة ومنهم
رضيع .. قاتلت رجل الشرطة وفي النهاية استطعنا
إخراجها .. »

كانت قائمة المطرودين حوالى سبعة عشر باستثناء
الأطفال .. نفس القائمة التى وضعها ذلك المجهول على
مكتبى .. لم تكن هناك إخطارات بالطرد ؛ لأن الشركة اعتبرت
هؤلاء متسللين أو مقيمين بوضع اليد ، وواضعو اليد
لا حقوق لهم ..

هذا الملف مسروق .. والسارق أحرق لأن الأدلة ضده
تتكوم فى هذه اللحظة .. لقد أخذوا بصماتى عندما التحقت
بالشركة ولن يكون صعبا مضاهاتها بالبصمات فى خزانة
(تشاتس) .. بل أنا أعرف أن هذا تم ..

ترى هل حصلوا على أمر باعتقالى ؟

ست عشر

لم يكن مكتبى الجديد يشبه فى شىء مكتبى فى شركة (سوينى) .. المكتب نفسه عبارة عن منضدة صغيرة بالتأكد ابتاعوها من مدرسة قديمة .. لها ثلاثة أدراج لكنها تفتح بصعوبة .. المقعد من الطراز الذى يستأجرونه للحفلات ، ولا يمت بصلة لمقعدى القديم الجلدى الدوار المريح .. جدران الغرفة بحاجة إلى طلاء ، والتدفئة سيئة جداً ..

دوت دقة على الباب أثارت هلعى ، فتساءلت عما إذا كانت عصابات الشارع قد لاحقتنى إلى هنا .. نظرت عبر الزجاج المصنفر للباب فرأيت ملامح مألوقة .. إنه (بارى نوتسو) صديقى القديم .. كان يرتجف ويتوق للدخول إلى الأمان بالداخل ..

فتحت له الباب ، فدخل وهو يصيح :

« يا له من وكر ! »

يبدو أن الأمر بدا له مسلماً .. نزع قفازيه ومشى إلى حيث أريكة (صوفيا) .. قلت له :

- « نحن نبقى مصاريقنا منخفضة كي نأخذ معنا كل المال للبيت . »

قال وهو مستمتع بكل هذا :

- « أنت جنت بلا شك .. هل بدأت تسمع أصواتنا ؟ »

- « هل جنت هنا كي تقول لي هذا الكلام ؟ »

- « لقد اتصلت بـ (كنير) وكلمتني عن الطلاق ..
ثم ماذا حدث لوجهك ؟ »

قاطعت سائلاً إن كان يرغب في قهوة .. وددت
ألا يصحبني إلى المطبخ لأن هذا مشهد لا يجب أن
يراه .. وجدت قدحا فغسلته وملأته بالقهوة وبسرعة
عدت له .. كان يتفحص الحجرة ثم قال لي :

- « هل هذا ما كنت تحلم به في مدرسة القاتون ؟ »

وفجأة انتهى المزاح .. نظر لي في جدية وبرغم قسوة
الفكرة فبأنني تساءلت عما إذا كان يحمل جهاز تنصت هو
الآخر .. بوسعهم هذا وهو لن يتطوع لهذه المهمة
لكنهم قادرون على إجباره .. لقد صرت العدو الآن ..

- « هناك ملف مهم مفقود يا (مايكل) والجميع يشير نحوك .. »

- « هل أرسلتك الشركة ؟ »

- « طبعاً لا .. »

صدقته .. فتجن صديقان منذ سبع سنوات برغم أننا كنا أكثر انشغالاً من أن نمارس الصداقة فعلاً ..

واصل الكلام :

- « الملف يتعلق بـ (مستر) .. أنت قابلت (شانس) وطلبت الملف .. ثم شوهدت تتسكع قرب مكتبه .. بصماتك في كل مكان في الغرفة والخزانة .. أنت أخذت الملف يا (مايكل) .. »

- « ماذا تعرفه عن هذا الملف ؟ »

- « لا أعرف شيئاً إلا أنه يتعلق بـ (مستر) وأنت أخذته .. كلاب الشركة الكبرى تبحث عنك ، وقد حرموا علينا الاتصال بك .. أنا هنا برغم أوامرهم .. »

- « لن أشي بك على كل حال . »

- « اسمع يا (مايكل) .. أنا متأكد من أن كل شىء
يمكن إصلاحه .. أعد الملف وسوف أقابل مديري
الشركة وأجعلهم يصفحون فينسون .. ثم آخذ إجازة
معك لمدة أسبوعين نلعب فيهما التنس ونعود كأن شيئاً
لم يكن . »

- « هل أنت متأكد من أنهم لم يرسلوك لتقول لى هذا ؟ »

- « لا وأقسم على هذا .. »

- « إذن هذه الفكرة لا تصلح .. هناك فارق بين أن
تكون محامياً وأن تكون بائعة هوى تتقاضى أجرها
بالساعة .. لقد دخلنا هذه المهنة لأننا حسبنا القانون قيمة
عظمى .. يمكنك محاربة فساد المجتمع كله بالقانون ..
كنا مثاليين وقتها .. فلماذا لا نعود كما كنا ؟ »

- « أقساط المسكن ! »

- « لم أطلب بتجنيدك معى .. من حسن الحظ أننى
بلا أطفال .. لى ترف أن أكون بطلاً بعض الوقت .. »

راح ينظر إلى جهاز التدفئة وهو يأمل أن يبعث
بعض الحرارة ، ثم قال :

- « لا يمكنك الاحتفاظ بهذا الملف يا (مايكل) .. إنهم مجانين كالجحيم .. من حق العميل أن يبقى منفه في السر ويعامل بسرية تامة ، ومعنى هذا أنهم سيقاضونك .. »
 - « لدى الشركة ما تخسره أكثر منى .. إن هذا الملف خطر عليهم »

نظر لى فى دهشة فهو فعلاً لا يعرف محتوى الملف ، ثم قال :

- « حتى لو كان هذا صحيحاً فليس بوسعك استعمال ملف مسروق فى المحكمة .. ربما أستطيع أن أرتب لك لقاء فى غرفة موصدة مع (آرثر) .. نوعاً من الهدنة .. »
 - « فات وقت ذلك .. هناك أناس تجمدوا من البرد فى الطرقات .. »

ثم قررت تغيير موضوع الحديث فدعوته إلى جولة فى المكتب ..

وعندما افترقنا بعد قليل طلب منى أن أتصل به من حين لآخر ، فأكدت له ذلك ..

سبع عشر

فى الصباح ذهبت مع (موردخاى) إلى الملجأ المدعو (بيت السامري) ، حيث قابلت طوفانا من المشردين الذين يريدون رأى القساونى .. أغلبهم قال أسفا إنه لا يستطيع أن يدفع لى .. معظم القضايا تتعلق بتوقف الإعانات الحكومية أو بونات التغذية أو وظيفة تركت العمل وأرسلت لها شركتها شيكا لم يصلها لأنها بلا عنوان .. رجل أدمنت زوجته المخدرات فاحترقت انبغاء وقادته إلى الإفلاس .. قصص جعلتنى أود تقبيل قدم (كلير) الآن ..

لم أتصور هذا الكم من العمل باعتبارى محامى شوارع ، وكنت قد ارتديت ثيابا غير مهذمة وكففت عن حلق لحيتى مما راق لـ (موردخاى) .. أنا الآن محامى شوارع فلا يهم مظهرى .. ومن حسن حظى أننى اعتدت إدمان العمل لذا لم يشكل لى هذا الكم الكبير من القضايا مشكلة ..

عند الظهر عدت إلى مكتب (موردخاى) . وجدت لى (صوفيا) جهاز هاتف يعمل .. كان تحت كومة من

الملفات ، ففقت بتوصيته وكان أول ما فعلته أن اتصلت بشركة (سويني) طالبا الاتصال بـ (هكتور بالما) .. أبقنتى السكرتيرة أنتظر على السماعه ، ثم جاء صوت خشن يقول :

- « أنا (برادن تشانس) .. هل لى أن أساعدك ؟ »

غيرت صوتى بسرعة وتمالكت نفسى وقلت :

- « أنا صديق قديم لـ (هكتور بالما) من أيام المدرسة .. هل لى أن أكلمه ؟ »

قال فى بساطة :

- « (هكتور بالما) لم يعد يعمل هنا »

وضعت السماعه ورأسى يدور .. فكرت أن اتصل بـ (بولى) سكرتيرتى السابقة لأتأكد من صحة هذا الخبر .. ربما لو طلبت (بارى) أو (رودلف) .. ثم تذكرت أن هؤلاء جميعا لم يعودوا أصدقائى .. لقد رحلت .. لقد صرت العدو ..

ثم اعتقد أن الشركة غيبية بحيث تفصل (بالما) .. اعتقد أنها نقلته إلى فرع آخر بعيد براتب أعلى .. هكذا تضمن صمته وتتخلص منه فى الوقت ذاته ..

لم أكن متلهفاً على العودة لدارى الجديدة بعد انتهاء العمل .. غرفة نوم بلا فراش .. مطبخ بلا ثلاجة .. تلفزيون بلا كابل .. إن المقولة القديمة التى تقول إن القانون حبيبة غيور صادقة معى جداً .. فلم يعد القانون إلا كل ما أملكه فى الحياة ..

انصرفت (صوفيا) مبكراً كعادتها لأنها تعيش فى منطقة خطيرة وهى تفضل أن تغلق الأبواب عليها ليلاً .. وقد نصحنى (موردخاى) بالألا أتأخر .. أوقف السيارة قريباً .. يجب أن نكون اثنين عند الانصراف .. أمش بسرعة .. راقب كل شىء ..

- « نحن سعداء بوجودك .. كنا بحاجة إلى رجل أبيض wasp هنا .. »

- « إذن لى الشرف أن أكون رمزاً .. »

★ ★ ★

انتظر رجال الشرطة حتى الواحدة صباحاً ثم هجموا كرجال الكوماندوز ، ودقوا الباب بعنف .. ولم تجد (كلير) وقتاً لاستجماع أفكارها .. وضعت شيئاً على منامتها بينما هم يوشكون على تهشيم الباب ..

- « شرطة !! »

فتحت الباب وتراجعت في زعر بينما اقتحمه أربعة رجال ، اثنان منهم بالزى الرسمي .. وكاتوا يتصرفون كأن حياة إنسان في خطر .. وصاح بها أحدهم :

- « تراجعى ! »

وكانت عاجزة عن الكلام .. قال قائدهم الملازم (جاسكو) وهو يخرج أوراقاً من جيبه :

- « هل أنت (كلير بروك) ؟ »

وهو يمثل (كولومبو) بطريق سيئة .. فهزت رأسها أن نعم ..

- « أين (مايكل بروك) ؟ »

- « لم يعد يعيش هنا .. »

كان من المستحيل أن يصدق الرجل هذا ؛ لذا أخرج ورقة وقال :

- « معى إذن تفتيش من القاضى (كيزنر) استخرجه الساعة الخامسة بعد الظهر .. »

ورفع الأوراق لقراها ، كأنها يمكن أن تستوعب ما فيها فى ساعة كهذه ..

- « عم تبحثون ؟ »

- « هذا فى الأوراق .. »

واندفع الرجال يفتشون الشقة ..

كنت نائما على الأرض فى شقتى فى ذلك الوقت .. منذ جئت هذه الشقة أكل قليلا وأنام أقل .. لكنى أحمد الله على أننى على الأقل أملك جدراناً وسقفاً وتدفئة ومهنة وأعرف أننى سأجد طعام غد .. هذا يختلف عن البؤساء الذين أعمل لهم .

دق جرس الهاتف المحمول فرفعته لأسمع (كلير) تقول همساً :

- « (مايكل) رجال الشرطة يفتشون الدار . »

- « ماذا ؟ »

- « معهم إذن تفتيش .. ويقولون إنهم يبحثون عن

ملف .. »

- « سأكون عندك خلال عشر دقائق .. »

هكذا اندفعت إلى الشقة كأنى تحت الاستحواذ ، وكان
(جاسكو) أول من قابلت .. فصحت :

- « أنا (مايكل بروك) .. من أنتم بحق الجحيم ؟
أريد أن أرى أوراقتكم .. »

أخرج الشارة من جيبه ورفعها لأتمكن من رؤيتها ..
قلت فى تحد :

- « (لارى جاسكو) .. أنت أول من سارفع عليه
قضية فى العاشرة صباح غد .. من معك ؟ »
قالت (كلير) :

- « معه ثلاثة وهم فى غرفة النوم الآن .. »
دخلت غرفة النوم لأجد شرطياً على أربع ينظر تحت
الفراش فصحت فيه :

- « أرنى أوراقتك أيها الأحمق .. »
أخرج شارته فنظرت فيها . وقلت :
- « (داريل كلارك) .. المتهم الثانى .. »
قال فى برود :

- « ليس بوسعك مقاضاتى .. »

- « جربنى أيها الصبي الكبير .. سوف أطلب منك تعويضاً في المحكمة بمليون دولار للتفتيش غير القانوني ، وسوف أكسبها .. عندها سأجعلك تشهر إفلاسك .. »

وطلبت من (كلير) أن تحضر كاميرا الفيديو لتصوير المشهد ، ثم قلت لهم :

- « سوف تحاكمون وتطردون من الخدمة ، غالباً بلا معاش .. التفتيش غير قانوني .. ومن أعطاكم الإذن سيحاكم .. هي أخبرتكم أنني لا أعيش هنا وبرغم هذا واصلتم التفتيش .. عند هذه النقطة صار ما تقومون به غير قانوني .. كان عليكم التوقف لكنكم لم تقاوموا لذة العبث بالملكات الشخصية للآخرين .. »

تظاهروا باللامبالاة ، لكنهم كانوا خائفين .. أنا محام فلا بد أنني أعرف ما أتكلم عنه .. لم أكن كذلك لكني بدوت مقتعاً .. كنت أمشي فوق جليد قانوني رفيع للغاية ..

سألني (جاسكو) :

- « أين الملف ؟ »

- « الملف ليس هنا لأى لا أعيش هنا ولهذا سوف أقاضيكم .. والآن لم لا تنصرفون ؟ »

- « طيلة الوقت يقاضوننا فلا مشكلة هناك »

وكانت (كلير) تصورهم فلم يجسروا على قول ما هو أكثر .. وسرعان ما كانوا يتجهون إلى الباب .. وغمغم أحدهم بصوت خفيض بعبارات سياب ضسد المحامين الذين يتدخلون فى كل شىء ..

وقفت أقرأ إذن التفتيش بينما (كلير) ترشف القهوة وقد استعادت برودها .. لن تظهر أمامى بعضهم الضعف أبداً ، وأبداً لن تظهر لى أنها بحاجة إلى ..

- « هل ستقاضيهم فعلاً ؟ »

- « لا .. لكنهم لن يعودوا ثانية .. »

- « وما موضوع هذا الملف ؟ »

- « قصة طويلة هى .. »

كنت أعرف أنها غير مهتمة .. فقط تريد الاطمئنان إلى أنهم لن يعودوا .. سألتها :

- « هل أخبرتهم بمكان إقامتي ؟ »

- « أنا لا أعرف مكان إقامتك ! »

وانصرفت بلا كلمة أخرى أو أية لمسة توحى
بالاهتمام .. وكان هذا ما تريده بالضبط ..

★ ★ ★

ثمانى عشر

فى الصباح أخبرت (موردخاى) بالقصة كلها ..
موضوع الملف وكل هذه التفاصيل التى يسميها لأول
مرة .. تمنى أن يصفنى بالجش لكن علاقتى به لم
تبلغ هذا الحد ..

قلت له إننى لم أجد حتى هذه اللحظة السبب الذى
يجعل الملف مهماً لهذه الدرجة .. لكنى كونت نظرية
معقولة هى أن شركتى السابقة طردت هؤلاء المشردين
من المستودع برغم أنهم يدفعون إيجاراً قدره مائة دولار
فى الشهر .. كانوا مستأجرين لهم كافة حقوق المستأجر
القانونية ، لكنها عاملتهم كواضعى يد .. والسبب هو أنه
لا وقت للإجراءات القانونية لأن الصفقة توشك على
الضياع من (ريفر أوكس) .. هناك ورقة معينة تثبت
أن (تشاتس) عرف أن هؤلاء القوم مستأجرون وليسوا
متسللين للعقار ، لكنه أخفاها .. ولم يضعها فى الملف ..
السبب : هو حاجة الشركة الماسة إلى الاستيلاء على
المستودع قبل قوات الأنوان .

قال (موردخاى) :

- « المالك السابق للعقار - ذلك البلطجي - يعطى أماكن لهؤلاء البؤساء ويأخذ منهم إيجارا ، لكنه لا يبلغ الحكومة بشيء عنهم كي لا يلتزم بشيء .. هكذا تعاملهم الحكومة كمتسولين .. هذا يحدث طيلة الوقت .. »

كان من رأيه أن علينا الآن أن نضع خطة محكمة .. لو استطعنا أن نجر (ريفر أوكس) وشركتى السابقة للمحكمة ، لكانت المحاكمة صاخبة ، وسوف تعيد اهتمام الإعلام بالمشردين ..

عندما صرت وحدى اتصلت بصديقى (بارى نوتسو) وطلبت منه أن يقابلنى عند تقاطع شارعى (ك) و (كونكتيكات) ..

- « سأكون عندك بعد ساعة .. »

- « بل الآن أو انس الأمر .. »

لم أرد أن أمنح هؤلاء الصبية وقتا لرسم خطة .. لا أريد منحهم وقتا لدس أجهزة تنصت كذلك ..

- « أنا فى مقهى (بنجلر) .. سأنتظرك .. وتعال

وحدك .. »

- « أنت تشاهد الكثير من الأفلام مؤخراً .. »

بعد عشر دقائق كنا نجلس فى ذلك المقهى الصغير
المزدحم ، نحتسى القهوة الساخنة ونراقب زحام المرور ..
سألته :

- « لماذا طلب التفتيش ؟ »

- « إنه ملفنا ونحن نريد استرجاعه .. هذا بسيط ..
أين تعيش الآن ؟ »

ضحكت ساخراً بما معناه (ما هذا الذكاء ؟) .. ثم قلت :

- « أمر الاعتقال يصدر بعد أمر التفتيش .. هل هذا
هو السيناريو المتوقع ؟ »

قال :

- « اسمع يا (مايكل) .. فلنبداً من منطق أنك مخطئ ..
أنت أخذت شيئاً ليس لك وهذه سرقة .. الأمر بسيط كما
ترى .. أنا صديقك لكنى ما زلت أعمل لدى الشركة
فلا تتوقع أن أساعدك .. أنت من وضعنا فى هذا الموقف
لا أنا .. هذه ليست لعبة يا (مايكل) ومن الممكن أن تؤذى
نفسك .. »

- « (تشانس) أيضا قد يؤذى .. هذا الملف يثبت أنه ارتكب خطأ مهنيًا جسيمًا .. ما أطلبه هو هدنة لفترة بلا أوامر باعتقالى أو تفتيشى .. »

- « وماذا تقدم فى المقابل ؟ »

- « ألا أضايق الشركة بمحتوى الملف .. »

ابتلع باقى القهوة ، وقال :

- « لست مؤهلاً لإجراء صفقات .. أستطيع فقط أن أنقل رسالتك هذه .. أنت تتوهم أن الشركة تريد الكلام معك .. بالعكس .. هم غاضبون جدًا ولا يريدون أى تعامل معك »

قلت وأنا أغادر المقهى :

- « هدنة لمدة أسبوع .. »

كانت المرأة الشابة جالسة جوار باب الشركة عندما وصلت هناك صبيحة الأربعاء .. الحرارة فى درجة التجمد .. ما إن رأتنى حتى وثبتت وهتفت :

- « مرحبًا .. هل أنت محام ؟ »

- « نعم .. »

- « لمن هم مثلى ؟ »

- « بالتأكيد »

وفتحت الباب وسمحت لها بالدخول .. أعددت قهوة
ووجدت بعض (الدونات) فى المطبخ فقدمته لها ..

- « ما اسمك ؟ »

- « (روبى) »

- « وأين تعيشين يا (روبى) ؟ »

- « هنا وهناك »

كانت تنبس ثيابًا رخيصة .. بين الثلاثين والأربعين
مخبولة نوعًا ونحيلة جدًا ..

- « كنت أعيش فى مأوى ثم طردت .. وجدت

لنفسى سيارة .. »

- « هل عندك سيارة ؟ »

- « لا أفقودها .. أنام فى المقعد الخلفى .. »

قدمت لها القهوة ودعوتها إلى المكتب .. جلست
منحنية على كوب القهوة كأنه آخر شيء دافئ تلمسه
فى حياتها .. ثم بدأت تقول :

.. « إنه ابنى .. (تيرانس) .. إنه فى السادسة عشر ..
لقد أخذوه منى .. رجال الملجأ .. »

منذ أعوام كان (تيرانس) فى العاشرة ، وكاتا يعيشان
فى شقة صغيرة .. قبض عليها لبيع المخدرات وسجن
أربعة أشهر .. ذهب (تيرانس) ليعيش مع أختها .. ثم
خرجت من السجن ليعيشا فى الشارع ويناما فى
السيارات .. بشكل ما استطاعت أن تبقى فى المدرسة ..
باعت المخدرات وباعت جسدها .. فعلت كل شيء لتبقى
شبعان وفى ثياب معقولة وفى المدرسة .. فى لحظة
يأس ذهبت لأسرة عملت عندها منذ زمن .. آل (رولاند) ..
قالت إنها ستدفع خمسين دولاراً فى الشهر لو سمحا
لـ (تيرانس) بالحياة عندهما .. وافق الزوجان بعد تردد
وسمحا لها بزيارته ساعة مساء كل يوم .. كاتا أناساً
طيبين .. صار ابنها نظيفاً سليم الجسد وسرها هذا ..
إلى أن تم اعتقالها بتهمة الدعارة هذه المرة ..

عندما خرجت كانت حاملاً .. عندما أنجبته أخذت الحكومة الرضيع لأن أمه مدمنة مخدرات .. ثم وجدت أن آل (رولاند) ضدها .. (تيرانس) ضدها .. ثم جاءها رجل يحمل أوراقاً وقال إن المدينة هي التي ستتولى أمر (تيرانس) .. سوف يتبناه آل (رولاند) فقد قضى معهما ثلاث سنوات ..

كانت تبكى .. أريد أن أراه فقد افتقدته جداً ..

استطيع أن أتصور (تيرانس) بصحة جيدة دافئاً يتناول الإفطار على المائدة ويسمع دروس الإسبانية .. بينما عميلتى شبه مجنونة تعيش فى الجحيم .. وعلى أن أسعى لجمعهما من جديد ..

قلت لها :

« لن ترى (تيرانس) إلى أن تشفى من تأثير المخدرات .. يجب أن تذهبي إلى مصحة .. »

شد ما أجهل كل شيء عن المخدرات ! من أين تحصل عليها ؟ كم جرعة ؟ كم من الوقت تحتاج إلى أن تشفى من عادة قاتلة كهذه ؟

هنا سمعت (صوفيا) تصرخ فى الخارج ..

خرجت لأرى ما هنالك ، فوجدت الملازم (جاسكو)
قد عاد .. هذه المرة كان معه خمسة رجال شرطة .. كان
(موردخاى) هناك ، وهو رجل لا يستطيع أن يخفض
صوته أو يكف عن الضوضاء .. وسمعته يقول :

- « ماذا بحق الجحيم ؟ »

نظر لى (جاسكو) ، وقال فى سخرية :

- « لم ترفع علينا قضية كما هددت .. وكل هذا الكلام
الكبير .. نحن هنا لنفتش .. هات الشيء الذى عندك
وسوف ننهى هذا الإزعاج »

قلت :

- « الملف ليس هنا .. أنت تضيع وقتك »

- « لكن من واجبنا أن نضيعه »

طلبت من (روبى) أن ترحل ، واختليت بـ (موردخاى)
فى مكتبه .. كنت محرجا لأننى تسببت فى مجيء الشرطة
إلى هنا .. فسألنى :

- « هل معك نسخة من هذا الملف ؟ لم لا تعطيهـم الأصل ؟ »

- « لا أستطيع .. هذا اعتراف منى بالسرقة .. ثم إنهم يعرفون يقيناً أنني نسخته . »

كان الجو يزداد توتراً بالخارج .. (صوفيا) تصرخ فى رجال الشرطة ، و (جاسكو) يصرخ فيها .. الأمر يتجاوز الكمات ليقترـب جداً من حدود الاعتداء الجسدى .. رجال الشرطة فى حيرة لأن تفتيش مكتب حمامة يختلف عن تفتيش بار مليء بالسكارى ..

قال (موردخاى) لرجال الشرطة :

- « لننتفق .. أولاً : سوف تبحثون عن ملفكم لكننا لن نفتح أى ملف لأن هذا تعد على أسرار العملاء .. »

وافق (جاسكو) فأخذتهم إلى مكتبى ورحلت أخرج ملفاً تلو آخر من الدرج ، وأضعه تحت أنف (جاسكو) .. فى هذه اللحظة اتجه (موردخاى) للهاتف وأجرى مكالمـة ثم قال لـ (جاسكو) بلهجة انتصار :

- « مكالمـة لك .. هذا هو القاضى الذى أعطاك إذن التفتيش .. »

تناول (جاسكو) السماعرة فى تردد كأن صاحبها
مجنون .. وأصغى قليلاً ثم طلب من رجاله إنهاء التفتيش ..
تباطأ الرجال فى المغادرة .. لكنهم رحلوا فى النهاية ..
واعترضت له (موردخاي) و (صوفيا) عن كل هذه
الفوضى ، ثم اعتكفت فى مكتبى ..

تسع عشر

قهوة من جديد مع (روبى) .. كانت بانتظارى عند الباب وعجبت لأنها منتعشة بهذا الشكل .. كيف يكون المرء منتعشاً بعد نوم عدة ساعات فى المقعد الخلفى لسيارة مهجورة ؟

- « هل ما زال عندك بعض الدونات ؟ »

- « سأرى ذلك .. »

لقد صارت عادة .. ودخلت المطبخ فأعددت القهوة ، ولم أجد سوى بعض الدونات الذى صار صلباً لكن لم يكن هناك غيره . كتبت أنكر نفسى بشراء بعضه لو جاءت (روبى) غداً .. وكنت أعرف أنها ستفعل ..

سألتها :

- « هل (عملت دماغ) ليلة أمس ؟ »

واندهشت لأننى أسأل هذه الأسئلة وبهذه اللغة ، لكنها هزت رأسها ، وقالت :

- « نعم .. كل ليلة أفعل ذلك .. »

لم يكن في نيتي أن ألومها ، فأنا لم أفعل بعد أى شيء يساعدها ..

أخذتها بسيارتي إلى مركز (ناعومي) للنساء ، وهي بناية من أربعة طوابق في الشارع العاشر .. يفتحونه في الساعة صباحاً ويقدم الحمامات والطعام والثياب للنسوة اللاتي لا بيت لهن .. عرفت أن (روبى) ممن يترددن على المركز ، وقد رحبت بها صديقاتها هناك .

تكلمت مع المديرية ، وهي شابة جذابة نحيلة تدعى (ميجان) .. يجب أن تتخلص (روبى) من المخدرات قبل أى شيء .. نصف النسوة هناك مختلات عقلياً وأكثرهن مدمنات .. ثلث الموجودات مصابات بالإيدز ، لكن (روبى) على قدر علم المديرية لم تكن مصابة بمرض معد ..

وعندما رحلت كانت النسوة محتشدات في المدخل يغنين بصوت عال ..

قرعت باب آل (بالما) الذى عرفته من دليل الهاتف ، فجاء صوت امرأة يسأل عن الباب .. كنت قد سمعت خطتى عدة مرات طيلة الطريق إلى (بتيسدا) لكن لم أقتنع بأننى أستطيع أن أكون مقتنعا ..

قلت :

- « جئت أبحث عن (هكتور بالما) .. »

- « لم تريده ؟ »

- « أنا مدين له ببعض المال ؛ لذا جئت أردده له »

لو أننى كنت آخذ المال لصار الجيران عدوانيين بالطبيعة .. هذه حيلة لا بأس بها .. لكن المرأة قالت :

- « لقد رحل من هنا . »

- « أعرف أنه رحل .. لكن هل تعرفين إلى أين ؟ »

- « لا .. »

بدا لى أن الإجابة هى (نعم) لكنها كانت قد غابت فى ظلال شقتها وأوصدت الباب .. قرعت الجرس مرتين لكن لا إجابة .. درت حول البناية وقرعت جرسا

فى الجهة الأخرى ، ففتح لى الباب رجل فى عمرى
نوٲ (المايونيز) جانبى فمه وسألنى عما أريد .. إنها
النامنة والظلام قد هبط ، وأنا أضايقه فى وقت
العشاء .. كررت قصة (بوب ستيفنس) .. لكنه قال إنه
لا يعرفه ..

- « وهل زوجتك تعرف زوجته ؟ »

- « لا .. »

استدرت مبتعدا لأقابل رجل أمن يحمل هراوة ، ويدق
بها على راحة يده كما يفعل رجال الشرطة فى
السينما .. سألنى عما أريد ، فقلت له :

- « أبحث عن شخص ما .. وأبعد هذا الشيء عنى .. »

- « تلقينا شكوى من الجيران بأن هناك متسللا فى
المنطقة .. يجب أن تبعد .. »

هكذا تركته ورحلت ..

لم أكن متحمسا للعودة إلى شقتى الجديدة .. إن
اسمى على أجهزة الكمبيوتر فى مكان ما ، ولن يتأخر

رجال الشرطة إلى أن يجدوا بيتي الجديد .. أعرف أنهم سينفذون غارتهم ليلاً ليستمتعوا بإفراعى . يقودوننى كأننى فى طابور الموت مكبلاً بالأصفاد إلى سيارة دورية .. ثم يقتادوننى إلى المخفر حيث أكون الأبيض الوحيد هناك .. أيقاً مترفاً .. لن يجدوا ما هو أفضل من إلقائى فى زنزانة مليئة بالنبلطجية الزنوج ليروا كيف أدافع عن نفسى . لهذا كنت أحمل شينين .. هاتفاً خلويّاً أتصل به بـ (موردخاى) فور اعتقالى ، ومائتى دولار لدفع كفالة .. ربما أنجح فى الخروج بدلاً من المبيت فى الحجز ..

عدت إلى المكتب وطلبت من (صوفيا) أن تساعدنى فى العثور على (هكتور بالما) .. إنه هسبانى مثلها وعلى الأرجح سوف تعرف كيف تجده .. تركتها تجرى مكالماتها فكانت تبدأ المكالمات بالإنجليزية ثم تنتقل إلى الإسبانية التى تشبه الشجار .. تركتها لمدة ساعة ثم إذا بها تقررع بابى لتقول :

- « لقد رحل .. إنه فى شيكاغو .. هل تريد أن أبحث

عن العنوان ؟ »

نظرت لها فى ذهول وقلت :

- « ولكن كيف استطعت أن .. ؟ »

- « لا تسأل .. صديق يعرف صديقاً فى كنيستهم ..
إنه هسبانى إذن هو كاثوليكي على الأرجح .. هل تريد
العنوان ؟ أستطيع أن أقودك إلى الطريق لكن الأمر لن
يكون سهلاً »

لقد بحثت لمدة ساعة ثم وجدت العنوان ، فوفرت
على سماجة رجال الأمن والدق على الأبواب طيلة الليل
فى البرد ..

إن فرع الشركة فى شيكاغو يقع فى ناطحة سحاب
بها مصاعد ونافورات وأماكن للتسوق .. لقد ذهبت
هناك مرتين ..

إنه المكان الأمثل لإخفاء (هكتور بالما) ..

عشرون

لدى المشردين إحساس غير عادى برجال الشرطة ،
وقد شعر ذلك الرجل بوجود سيارة الشرطة المتخفية
قرب مكتبنا وأخبر (صوفيا) بذلك .. أخبرت بدورها
(موردخاي) .. لم أدر أنا بشيء من ذلك لأنى كنت
منهمكا فى محادثة على الهاتف ..

لما انتهيت قالت لى (صوفيا) :

- « هناك سيارة شرطة بالخارج .. على الأرجح جاءوا
للظفر بك .. »

وقال (موردخاي) :

- « لابد أنهم حصلوا على أمر اعتقال .. »

تظاهرت بالثبات وبأننى غير مهتم .. كانت المشكلة
هى أن هذه ليلة الجمعة ومعنى هذا أنه لا مقر من
قضاء ليلتى فى الحجز .. الفتى الأبيض الأتيق مع
الحنثالة بالداخل .. حتى لو اتصل (موردخاي) بالقاضى
الذى أصدر الحكم فلن يبالى أحد بمشكلتى .. هناك مائتا
محام يعتقلون كل ليلة ..

فى شقة (كلير) عندما واجهت (جاسكو) كفت أنا المحامى طلق اللسان قوى الحجة .. يقذف التهديدات ويطرح الأسئلة فى وجه (جاسكو) الشرطى المذعور .
لم أتصور قط أنه سيأتى يوم يعتقلنى فيه هذا الرجل ..

لقد دخل المكتب منتصراً حاملاً أوراقه التى ينوى أن يرميها فى وجهي ، وقال لـ (صوفيا) :

- « أريد مستر (بروكس) .. »

خرجت من مكتبى باسمًا ، وقلت :

- « مرحباً (جاسكو) .. أما زلت تبحث عن ذلك

الملف ؟ »

- « ليس اليوم ! »

سأله (موردخاي) فى خشونة :

- « أنا محاميه .. فهل معك إذن باعتقاله ؟ »

- « نعم .. »

مشيت نحوه قائلاً :

- « هيا بنا .. »

أخرج أحد مساعديه زوجًا من الأصفاد وكبل ذراعى
لظهرى بالمعدن البارد .. كان القيد ضيقًا أو على الأقل
أضيق مما توقعت .. قال (موردخاي) :

- « سوف أحضر موكلنى بنفسى لمركز الشرطة .. »

- « لا .. نحن سنوفر عليك هذه المشقة »

- « إذن سأتابعكم .. »

وخرجنا إلى الردهة حيث كان ثلاثة من عملائنا
ينتظرون ، فراحوا ينظرون لى فى ذهول .. كنت أتوق
إلى الاختباء فى السيارة بسرعة .. هكذا غصت فى
المقعد الخلفى إلى جوار (جاسكو) وأنا لا أرى ما
أمامى ..

قال (جاسكو) :

- « يا لمضيعة الوقت ! هناك مائة جريمة قتل وألف
تاجر مخدرات وحادث اعتداء فى كل ناصية ، لكن علينا
أن نضيع وقتنا معك »

- « إذن أطلق سراحى .. »

- « لو كان الأمر بيدى لفعلت . لكن المدعى العام يتلقى ضغطاً .. »

هذا مفهوم .. الشركة لا تتوى تضيق وقتها مع رجال الشرطة ، وإنما تدخل فى مناقشة قانونية مع المدعى العام لإقناعه بالقضية .. لا يهم .. (مارتن لوثر كنج) دخل السجن .. أناس مهمون مشاهير دخلوا السجن وكتبوا بالأصفا .. هناك قاض ينفذ حكماً بأشغال شاقة مؤبدة فى (ممفيس) .. ممثلون وأبطال رياضة قبض عليهم وهم يهربون الكوكايين أو يخالفون المرور ..

ثمة نوع من الراحة فى هذا .. لقد تم الأمر أخيراً .. لا مزيد من الفرار والنظر خلفى .. لا مزيد من القلق .. لكنى برغم هذا خائف .. قد يتأخر دفع الكفالة إلى الأحد أو الاثنين .. ربما أوضع فى زنزانة مع أناس قذرين .. حاولت الاسترخاء وهو ما وجدته مستحيلًا وأنا جالس على يدى ..

كنت تائها أثناء اقتيادى ، و (جاسكو) يقتادنى ككلب ضال .. لا تنتظر لهؤلاء الناس .. عملية جرد متاعك .. البصمات .. التصوير .. الليل يزحف والجريمة تتزايد وسوف يكون الحجز مزدحمًا ..

فى النهاية اقتادنى (جاسكو) إلى ممر طويل وقضبان ..
ثم باب حديدى ينغلق خلفى ..

كان زملاء الزنزانة كلهم من السود الأصغر سنًا ..
عددت أربعة .. الخامس كان راقداً .. كلهم ينظر لى
وأنا أبحث عن مكان أجلس فيه بحيث لا ألمس أيًا
منهم .. ولاحظت أن الباب عبارة عن قضبان مما جعل
من فى الزنزانة المقابلة يروننا بوضوح .. لم يكن هذا
هو الوقت المناسب كى تكون أبيض ..

نهض شاب ومشى نحوى ووقف جوارى ثم ركل
قدمى ، وقال :

- « جاكيت جميل ! »

هذه هى النهاية إذن .. لذا قلت :

- « شكرًا »

محاولاً ألا أبدو ساخرًا أو مستفقرًا . إنه رشيق قوى
البنية .. يبدو أنه قضى حياته كلها فى شجار الشوارع ،
وهو يحاول أن يستعرض شجاعته أمام رفاقه .. لن
يظفر بفريسة أكثر سهولة منى مهما حاول ..

- « لم ألبس (جاكيت) أنيقاً كهذا فى حياتي »

قال أحد الرجال :

- « الجدع يقول إنك تلبس (جاكيت) جميلاً .. »

- « وأنا قلت له شكراً .. هل يريد أن يقترضه ؟ ماذا

يريد أن أفعل ؟ »

- « لو أهديته له لكان هذا أنسب .. »

الآن اكتملت دائرة الحصار من حولى ؛ لذا نزع

الجاكيت وناولته لهم ..

- « هل هى هدية ؟ »

- « هى ما شئت .. »

كانت ركلة عنيفة تلك التى ضربت رأسى فجعلته

يصطدم بالجدار خلفى ، ومن جديد عاد السؤال :

- « هل هى هدية ؟ »

- « نعم .. »

- « شكراً يا رجل .. »

بعد دقائق ظهر آخر ووقف يراقبني .. خفضت عيني
فلم أر إلا قدميه العاريتين .. ثم قال :

- « حذاء جميل .. »

من دون كلمة مددت يدي ونزعت الحذاء .. ماذا عن
الليل إذن ؟ كيف ستنام وليس هنا إلا فراشان ؟ ماذا عن
استعمال المرحاض وشرب الماء ؟ ماذا عن قميصي
وثيابي الداخلية ؟

في هذه اللحظة ألقذني (مورداخي) الذي أنهى إجراءات
الكفالة بسرعة .. كفالتني كانت عشرة آلاف دولار دفعت
منها ألفاً ووقعت الأوراق .. وفي الخارج كانت (صوفيا)
بانتظاري ..

- « أين حذاؤك ؟ »

- « أعطيتَه هدية لأحد المساجين ! »

عاد أحد الحراس لي بسترتي وحذائي ، وسرعان ما
كنا نغادر هذا المكان الرهيب ..

واحد وعشرون

فى الصباح كانت صورتي تحتل كل الصحف مع قصة مؤثرة عن المحامى الذى خان الأمانة وسرق ملفا من الشركة التى دربته .. أعتقد أن الجميع يحفظ وجهى الآن .

لم تستطع (روى) الخلاص من المخدرات برغم إقامتها فى ملجأ (ناعومى) ؛ لذا تفتق ذهنى عن فكرة لا بأس بها .. أخذتها بسيارتى إلى (موتيل) فى بلدة صغيرة مجاورة للمدينة ودفعت إيجارها وثمرن طعامها ، ثم تركتها هناك .. كانت هذه خطتى التى رتبتهـا مع (ميجان) .. تلك المديرية الفاتنة لملجأ (ناعومى) .

حتى لو أرادت (روى) فمن المستحيل أن تحصل على مخدرات فى هذا المكان .. وتصلت بها لأطمئن عليها فوجدتها لم تغادر غرفتها ، بل ظلت تشاهد التلفزيون وتأكل بلا تقطاع ..

بعد أربع وعشرين ساعة ذهبت لأخذها فوجدتها ترتدى ثيابا جديدة وقد استحمت .. كانت غرفتها فى الطابق السفلى فخرجت راكضة نحوى واحتضنتنى صائحة :

« أنا نظيفة ! لم ألمس المخدرات منذ أربع وعشرين ساعة ! »

عدت بها بسيارتى إلى ملجأ (ميجان) .. هناك عقدوا
لها احتفالاً صغيراً .. قالت لى (ميجان) إن أول أربع
وعشرين ساعة هى الأصعب وهى التى تستحق التهنئة ..
وجلست مع (ميجان) فى الحديقة نشرب القهوة ونخطط
ما بعد ذلك .. يجب على (روبى) أن تحضر كذلك
جلسات الـ (AA) التى تساعد المدمنين .. لكن (ميجان)
لم تكن متفائلة ، لأن تجار المخدرات فى كل مكان ولن
تلبث (روبى) أن تعود للشارع والتعاطى من جديد ..
هذا يحدث كل يوم ..

كانت المشكلة هى أننى ذاهب إلى شيكاغو للبحث عن
(هكتور بالما) .. هكذا اتفقتا على أن تأخذها (ميجان) إلى
موتيل آخر على حسابى وتستردها صباح الاثنين .. بعدها
نخطط ما يجب عمله .. ربما أخذناها إلى مركز تأهيل
تمضى فيه ستة أشهر من العمل والرقابة الطبية ..

دعتنى (ميجان) إلى تناول الغداء فى مكتبها ..
كانت عيناها ترقصان كأنما تطلبان منى أن أوافق ..
وقد وافقت ..

يسافر المحامون فى (دريك وسوينى) بالدرجة الأولى
شاعرين بأنهم يستحقون هذا ، ويقيمون فى فنادق ذات
أربعة نجوم .. إن العملاء يدفعون كل هذه النفقات ..

لكن مقعدى فى الطائرة تم حجزه فى آخر لحظة ..
أغلقت عيني لمدة ساعتين وحاولت ألا أفكر فى المؤخرات
الفخورة الجالسة فى الدرجة الأولى حيث كنت أجلس فى
الماضى .. كان سفرى هذا خرقاً لقانون الكفالة الذى
يحتم أننى لا أغادر البلدة من دون إذن القاضي ، لكن
(موردخاى) أكد أن هذا غير خطير .

لا يوجد لدى أى عنوان لـ (بالما) .. ولو لم أجده
فى شركة (دريك وسوينى) هنا فهذا حظى السيئ .

فرع (دريك وسوينى) فى شيكاغو يعمل به ١٠٦
محامين .. قسم العقارات يعمل به ١٨ محامياً ..

ابتعت جريدة أخفى بها وجهى ورجعت أراقب مدخل
المصاعد .. كانت الساعة والنصف صباحاً أى إن هذا
وقت وصول الموظفين ..

فى الثامنة والثلاث دخل (هكتور بالما) البناية .. مسرعاً
يهرع إلى المصعد .. إنه هو .. بالفعل كما توقعت نقلته

الشركة إلى هنا في منتصف الليل كي تتمكن من رشوته ومراقبته وتهديده ..

ركبت المصعد في التاسعة وصعدت إلى حيث قسم العقارات .. وقبل أن تبادرنى موظفة الاستقبال بالسؤال عن أريد وضعت يدي على فمي ، وسألتها عن الحمام لأنى أشعر بالغثيان وموشك على القيء .. هكذا لم تستطع إلا أن تشير لى إلى الحمام . وعندما غادرته كنت قد صرت داخل قسم العقارات فعلاً ..

وجدت مكتب (هكتور بالما) على الفور ، فدخلت وأغلقت خلفي .. ما إن رآنى حتى رفع كفيه كأنه يواجه مسدساً ، وهتف :

- « ماذا بحق الجحيم ؟ »

- « مرحباً (هكتور) .. كيف حال شيكاغو ؟ »

- « ماذا تفعل هنا ؟ »

- « يمكن أن أوجه لك ذات السؤال .. نحن سوف نرفع دعوى قضائية اليوم ضد شركة (ريفر أوكس) لصالح هؤلاء الذين طردوا من المستودع وهم مستأجرون قانوناً ..

أنت كنت تعرف هذا عندما نفذت أمر الإخلاء .. هل تذكر تلك الأم التي قاومت رجال الشرطة ؟ لقد وجدوها ميتة متجمدة مع أطفالها في سيارة في الشارع بعد ذلك .. هناك مذكرة كانت في الملف تثبت هذا وقد تم انتزاعها .. الملف عندي لكننى أريد المذكرة .. لو أعطيتنى المذكرة فلن أطيبك للشهادة .. وأنت تعرف أن الشهادة سوف تغرق شركة (دريك وسوينى) وبالتالي لا بد من طردك .. ما سأفعله أنا هو أن أستعمل المذكرة من دون إقحامك فى الموضوع . لن أذكر مصادرى .. »

- « ومن قال لك إن المذكرة عندي ؟ »

- « أنا واثق من أنك نسختها لتدافع بها عن نفسك إذا ادهمت الأمور .. أنت أذكى من ألا تفعل .. »

أعرف يقيناً أن (هكتور) لن يكذب لأنه من وضع على مكتبى أسماء المطرودين والمفتاحين .. أعرف هذا .. إن لديه روحاً وضميراً ..

- « إنهم سوف يطرّدوننى .. هل تعرف هذا ؟ »

- « على الأرجح سيفعلون .. لكن ستكون لدينا قضية ممتازة نرفعها عليهم .. أنا سأقوم بذلك ولن أتقاضى منك مليماً .. »

فكر قليلاً ، ثم قال :

- « قابتنى عند الظهر أمام نافورة الماء أمام البناية .. »

من النافورة اتجهنا إلى (جراند أفينيو) حيث مطعم بيوفيه مفتوح .. ونحن فى الطابور ناولتى مظروفاً ، وقال :

- « لدى أربعة أطفال .. من فضلك احمنى .. »

وقبل أن أتكلم كان قد غادر المطعم .. ياقة معطفه تغطى أذنيه وهو يوشك على الركض فاراً تقريباً ..

ركبت سيارة أجرة وفتحت المظروف .. هنا حيث لا يعرف مخلوق بمكانى يمكننى أن أدرس المذكرة جيداً .. كانت هناك مذكرة من (بالما) موجهة لـ (تشاتس) تقول إنه ذهب إلى المستودع يوم ٢٧ يناير ، ومعه حارس مسلح اسمه (جيف ماكل) من شركة أمن (روك كريك) .. ذهب هناك فى التاسعة والنصف وغادر بعد ثلاث ساعات ..

فى الطابق الثالث وجد حوالى ١١ شقة من الخشب بأبواب من بلاستيك .. سمع بكاء طفل ففتح أحد الأبواب لتفتح له امرأة تحمل رضيعاً ومعهما ثلاثة أطفال .. أخبرها إنه جاء ليخلى البناية لأنها بيعت لشركة البريد لكنها أصرت على أنها استأجرت الشقة ممن يدعى (جونى) يأتى يوم ١٥ من كل شهر لياخذ الإيجار .. لا أوراق .. كل تعاملها مع (جونى) هذا .. لكنها عرضت ورقة متسخة عليها إيصال استلام المبلغ ..

هذه الورقة قام (هكتور) بنسخها وألحقها بالذاكرة .. لم يكن يملك الحق فى الاعتراض أو المناقشة ، لكنه أعطى رؤسائه حبلاً طويلاً ليشتنقوا به أنفسهم ..

قمت بإرسال فاكس بالذاكرة لـ (موردخاى) فى حالة ما إذا تم اعتقالى أو سرق منى هذا المظروف ..

اثنا عشر

عندما قابلت (موردخاي) كان يحمل لى مظروفًا رسميًا
أعرف بالضبط ما فيه .. لقد كان من ثلاث صفحات أعدها
أصدقائي الأعزاء فى (دريك وسوينى) لكن يمكن
تلخيصها فى فقرة واحدة :

أنا الولد الشرير الذى سرق ملفًا من الشركة .. يجب
إما أن : (١) : أشطب من سجل المهنة بشكل دائم أو (٢) :
أوقف عن عمل المحاماة عدة أعوام أو (٣) : أؤنب عتًا ..

استندت إلى جدار شاعرًا بالدوار .. الشركة تريد الدم ..
هذا واضح .. شركة كبيرة تعمل مثل مثيلاتها بسياسة :
(لا أسرى) .. لكنهم لا يعرفون أننى سأقاضيهم غدًا
وأطالبهم بعشرة ملايين بسبب الإضرار بـ (آل بيرتون)
الذين طردتهم فمتوا فى الشارع .. لقد استطاع (موردخاي)
ترتيب القضية عن طريق تعيين من تدعى (ويلما فيلان)
- وهى ناشطة فى المجتمع المدنى - لتكون قيمة للمطالبة
بالحق المدنى ، بما أن الأسرة لا أقارب لها ولا أحد يعرف
أبا الأطفال الأربعة إن كان لهم أب واحد .. بالطبع سوف

نتقاضى عشرة بالمائة من التعويض ، وهو مبلغ مضحك
فقد جرت العادة على ٤٠٪ لكننا لم نكن نبغى الربح ..

مررت على الموتيل الذى تقيم فيه (روبى) لأننى لم
أعد أستطيع مواصلة الإنفاق عليها بمعدل أربعين دولاراً
كل ليلة .. قرعت الباب عدة مرات فلم يرد أحد .. نزلت
للاستقبال فعرفت أن أحداً لم يرها تغادر .. هذا غريب ..

صعد معى موظف الاستقبال الذى لم يسعده أن نستخدم
فندقه الجميل كمصحة للإقلاع عن المخدرات .. قرع الباب
مراراً ثم فتح الباب فلم نجد أحداً ..

أين عساها قد ذهبت ؟ إن المخدرات مقاطيس يشدها
للشارع كل مرة ..

اتصلت بـ (ميجان) أخبرها بهذا ثم عدت لمكتبى ..
لست قلقاً عليها .. إنها قادرة على الحياة فى الشارع أكثر
منى .. عندى على كل حال أمور أهم هى القضية التى
ننوى رفعها .. لو لم تطرد شركة (ريفر أوكس) تلك الأم
وأطفالها الأربعة لما عاشوا فى الشارع ، وبالتالي لما ماتوا

بردًا .. هذا منطق واضح سهل ولا بد أن يجده المحلفون
كذلك .. ألق بأم وأطفالها فى الشارع وسيكون عليك تحمل
التبعات لو حدث لهم مكروه ..

المشكلة هى الملف .. سوف تطلب منى الشركة
تقديم الملف للقاضي ، وسوف أفعل وهذا فى حد ذاته
اعتراف بالجريمة .. قد أفقد مهنتى ..

كانت خطة (موردخاى) هى تجاهل القضية تمامًا
لحمايتى .. يمكن أن يعقد صلحاً مع (دريك وسوينى) ..
يتنازلون عن سرقة الملف مقابل الملف ذاته وعدم
الإساءة لاسمهم .. إن شركة (دريك وسوينى) شركة
عظيمة الكبرياء تعتمد على سمعتها الحسنة .. أعرف
عقدة المحامين الكبار هذه .. إنهم يشعرون فى قرارة
أنفسهم بالذنب لأنهم يحصلون على كل هذه المكاسب ..
من ثم يكرهون أى شىء يظهرهم قساة أو أشراراً أمام
المجتمع .. لكنى كنت مصرّاً على المضى قدماً ..

أنهينا إجراءات التقاضى ، وكان بانتظارنا صحفى هو
صديق (أبراهام) أعطيناه تقريراً وافياً عن موضوع

القضية .. هذه القضية ستروق للجميع وسوف يحاول الجميع الخلاص من المسؤولية عن طريق إلقائها على كاهل مجموعة من المحامين الأثرياء ..

أنا أفهم مزاج شركتى السابقة وأعرف كيف اجتمعوا على نشر قصة القبض على ، وكيف أهدوا صورتي للصحافة لمزيد من الإهانة لى .. الآن أفعل الشيء ذاته لأنى أفهمهم وأعرف كيف يفكرون ..

سوف تصدر صحف الغد وفيها صورة مديرى شركتنا بطريقة مهينة .. وسوف توجه لهم الاتهامات علناً .. أستطيع أن أتخيل الشركة وقد سادها الهجوم والصمت ، فلابد أن دار مناسبات الموتى أكثر مرحاً من هذا ..

لقد قرروا الهجوم على أوردة عنقى .. دعهم يتعذبون قليلاً إذن ..

ثلاث وعشرون

خرجت مع (ميجان) مديرة الملجأ فى نزهة بالسيارة ..
لم نتوقع قط أن نقابل (روبى) ، لكنها كانت فرصة كى
نمضى بعض الوقت معاً ..

قالت لى :

- « لقد رأيت كل شىء مع المدمنين .. لا يمكن أن
نتوقع أبداً سلوكهم .. فقط عندما يظفر أحدهم بعمل
ومسكن نحمد الله ثم ننتظر المدمن التالى .. إن الوديان
أكثر من الجبال فى هذه الحياة .. »

- « ألا تشعرين بالقنوط ؟ »

- « أتعلم الأمل من زبائنى .. أكثرهن شخصيات قوية .
جنن الحياة وحيدات بلا أية فرصة ، لكنهن يستطعن الحياة ..
يتعثرن طيلة الوقت لكن يستمررن فى المحاولة .. »

دردنا فى المنطقة وتفحصنا بعض السيارات المحطمة ،
ثم إننى أعدتها إلى الملجأ .. لقد صارت (روبى) عذراً
طبيعياً يجعلنى أرى (ميجان) باستمرار ..

كانت التاسعة وعشرين دقيقة عندما وصلت مع محامى إلى بناية (كارل مولتري) مركز القضايا المدنية والجنائية فى وسط البلد .. لم أكن هناك قط لكن (موردخاى) كان يعرف الطريق ..

دخل المكان كان حديقة حيوان .. هناك ردهة مليئة بأناس قلقين وقاعات محاكمة فى كل مكان .. فى الغرفة ١١٤ بالطابق الأول كان المحترم (نورمان كزنىر) القاضى .. وكان اسمى فى أول (الزول) . دخلنا فجلست فى الصف الثانى وكانت القاعة خالية ..

سمعت من خلفى من يقول :

« مرحباً يا (مايكل) .. »

نظرت للخلف فوجدت زميلى القديم (رافتر) .. كان ومن معه يمثلون الضحية من ثم كان لهم الحق فى التواجد فى كل مراحل تقديمى للمحاكمة ! لكن لماذا جاء (رافتر) ؟ إنه الأكثر شراسة ودناءة من كل زملائى ، ووجوده لابد أن يسبب لى الذعر ..

نادانى (موردخاى) لغرفة القاضى فلحقته به ، حيث صافحت القاضى ودعانا للجلوس .. كان القاضى (كزنىر)

فى السبعين على أقل تقدير .. لحيه شابة وعينان بنيتان
تحرفاك عندما يتكلم .. وكان يعرف محامى منذ أعوام ..

قال لى :

- « أعرف شركتك منذ زمن .. شركة ممتازة لديها
محامون ممتازون ، وهم يدربونهم جيداً .. »

كنت أشعر بعدم راحة لكونه يطرى ضحاياى لهذا الحد ..

- « هذه قضية غير معتادة إلى درجة مدهشة .. لكن
لتفترض أنك أخذت هذا الملف ولتفترض أنك رددته لى ..
عندها يمكن أن أقيم ثمنه بمائتى دولار وننهي الأمر
كجثة .. »

- « وماذا لو لم أرده ؟ أتحدث للعلم فقط »

- « عندئذ تزداد قيمته بالنسبة لنا ، وسوف تكون
محاكمة بتهمة السطو .. لو استطاع المدعى إقناع
المحققين فاسوف يصير من واجبى أن أحكم عليك ..
ولو صدر حكم سوف تلغى رخصة محاماتك .. »

وازدادت تجاعيد جبهته مما جعلنى أدرك أن حكمه
على شىء يجدر بى أن أتحاشاه ..

منحنا أسبوعين لاتخاذ قرار وهكذا غادرنا غرفته
لنجلس فى قاعة المحكمة من جديد ..

فى سيارة (موردخاى) ونحن عائدان سألته :

- « والآن أيها المستشار ما رأيك ؟ »

- « ما زال أمامنا أسبوعان .. دعنا لا نتعجل الأمور
ولنفكر بحرص »

فور عودتنا للمكتب ، اتصلت بشركة (دريك وسوينى)
طالباً الكلام مع (تشانس) .. بالطبع انتحلت اسماً
مستعاراً .. لكن السكرتيرة قالت لى إنه فى إجازة ..
إجازة لا تعرف متى يعود منها ..

كنت أعرف شركتى جيداً .. إجازة لا تعرف موعد
العودة منها يعنى ببساطة أنهم طردوك .. هذا ما حدث
إذن .. لقد تصرف (تشانس) على مسئوليتيه وقام
بإخلاء المستودع ممن فيه ، وهو يعرف يقيناً أنهم
مستأجرون .. لم يخبر الشركة بهذا .. وعندما اتضح
الأمر وجد أنه عاجز عن تفسير موقفه .. لقد جلب
الوبال على الشركة وسبب لها مشكلة وقضية مع

عمالها . لو أنه اتخذ الإجراءات القانونية لأعطى
المستأجرين إنذاراً لمدة شهر ، ومعنى مرور شهر
ضياع الصفقة من شركة (ريفر أو كس) .. لكن هذا
فى الوقت ذاته كان يعنى رحيل الشتاء القاسى .. كانت
الشوارع ستكون أكثر رفقا بهؤلاء البؤساء ..

يمكننى أن أتخيل القيادات الكبرى فى الشركة ترغى
وتزبد ، وتجتمع لتقرر إعطاء (تشانس) إجازة
مفتوحة .. ربما منحوه مكافأة لا بأس بها لكنهم
تخلصوا منه على كل حال ..

★ ★ ★

كان عضو الكونجرس جمهورياً من (إنديانا) يدعى
(بيركهولدر) .. وكان يحب الركض ليلاً حول (كابيتول
هول) .. تم إطلاق النار عليه يوم الأربعاء أثناء ركضه
وحيداً .. كان يلبس بزة تدريب بلا جيوب ، فكان جلياً أنه
لا يحمل شيئاً ثميناً .. يبدو أن السرقة لم تكن هدفاً ..

اخترقت الطلقة ذراعه وكتفه وتوقفت قبل العنق
بقليل .. وقد وصف أحد الشهود المعتدى بأنه زنجى
أسود من الطراز المتشرد .. نجا عضو الكونجرس بعد

جراحة استغرقت ساعتين ، وكانت هذه أول مرة منذ
 ربح من الزمن يطلق فيها الرصاص على عضو
 كونجرس .. بعضهم تعرض لاعتداء وكان هذا يتيح له
 الكلام عن الجريمة وتدنى معدلات الأمن ، وبالطبع
 إلقاء التهمة على الحزب الآخر ..

هكذا خرج رجال الشرطة ينظفون شوارع واشنطن
 من كل شخص بلا بيت .. كل المتسولين تم اعتقالهم ..

فى اليوم التالى خرج عضو الكونجرس ليواجه
 الصحافة فى مشهد مسرحى تم إخراجه جيداً .. كان
 على مقعد متحرك وأربطة الشاش تحيط بعنقه ، ثم
 أعلن أنه بخير .. فقط بدأ يتكلم عن الجريمة فى
 واشنطن .. سوف يكرس حياته من هذه اللحظة
 لاستعادة الأمن فى الشوارع ..

هكذا سقط عبء مروع على كاهل رجال الشرطة ، الذين
 واصلوا حملات الاعتقال ليلاً .. مع إلقاء المشردين فى
 السجون أو نقلهم كالماشية إلى أماكن أخرى ..

أربع وعشرون

ظهرت (روبي) ثنية أمام مكتبي صباح الاثنين ، بشهية مفتوحة للقهوة والكعك .. بدا لي أنها منتعشة وأنه لا أثر للمخدرات على وجهها .. اقتدتها للداخل ..

- « كيف حالك وأين كنت تعيشين ؟ »

- « في سيارتي .. »

- « نعم .. يسرني أن الشقاء راحل .. سوف أوصلك

إلى ملجأ (ناعومي) »

كنت أتمنى أن أسألها عن إقامتها في الموتيل وسر رحيلها عنه ، لكنني رأيت أن أتجاهل هذا أفضل .. صبيت لها القهوة بينما هي تفرص الكعك بلا توقف كالفار ..

أوصلتها إلى الملجأ وتبادلت بعض كلمات الغزل مع (ميجان) ثم عدت للمكتب حيث بدأ الزحام ..

كنت منهمكاً في العمل عندما اقتحمت (صوفيا) الغرفة .. بما أن الباب لا ينغلق فقد دخلت في ذات الوقت الذي قرعته فيه .. وبالطبع لم تكن تستعمل الفاظ (من فضلك) أو أي شيء آخر .. القلم خلف أذنها وعويناتها مرفوعة ، وقالت لي :

- « أين قائمة المطرودين من المستودع ؟ »

ناولتها القائمة .. فتفحصتها ثم هتفت :

- « وجدتها ! رقم ٨ .. (ماركيز ديس) .. إنه يجلس بالخارج معي ! لقد انتزعوه من حيث كان يمضى ليلته أمام البيت الأبيض بسبب حادث الاعتداء على عضو الكونجرس .. اليوم يوم حظك ! »

خرجت معها لأرى (ماركيز) فوجدته يشبه (مستر) كثيراً .. جريت لأخبر (موردخاي) كي يتولى الأمر بنفسه ..
قال (موردخاي) ونحن نقف أمام الرجل :

- « نحن نتولى قضية أناس كانوا يقيمون فى مستودع عند تقاطع شارعى (فلوريدا) و (نيويورك) * .. »

- « كنت أعيش هناك .. قضيت ثلاثة أشهر .. »

- « وكنت تدفع الإيجار لرجل يدعى (جونى) ؟ »

- « نعم .. »

(★) كما هو واضح طيلة الرواية ، تستعمل أسماء الولايات فى واشنطن - باعتبارها العاصمة - لكنها أسماء شوارع ..

- « نحن نريد أن نمثلك فى قضية طلب تعويض لأننا نرى أن طردك كان غير قانونى .. سوف تحصل على الكثير من المال .. »

عندما انفردت مع (موردخاى) قلت له إن علينا أن نحصل على شهادة هذا الرجل قبل أن يحدث له شىء .. سوف نعد شهادة موقعة تشهد عليها (صوفيا) .. سألته إن كان لديه جهاز كاسيت فأكد أن لديه واحدا لكنه لا يعرف أين .. معنى هذا أنه سيقضى شهرا فى البحث .. سألته عن كاميرا فيديو فقال : لا ..

- « إذن سأحضر الكاميرا الخاصة بى .. فقط أبقه هنا وسأعود خلال ٤٥ دقيقة ! »

- « لن يذهب لأى مكان .. »

هرعت أركض فى الشارع واتصلت بـ (كلير) طالبا اقتراض كاميرا الفيديو .. قالت لى إنها فى الصلاة حيث تركتها .. إنها لم تغير الأقفال .. هذا أشعرتنى بشىء من البهجة .. بوسعى أن أدخل وأخرج متى أردت ..

هكذا أجلسنا (ماركيز) فى مكتب داخلى ، وبدأت التصوير على حين استجوبه (موردخاى) . كان يعرف

مكان اثنين آخرين من المطرودين ، وقد قررنا أن نقيم دعوى منفصلة لكل منهم ..

عندما اتصرف (ماركيز) دق جرس الهاتف .. سمعت من يسأل عن (موردخاى) .. سألته من هو قال :

- « آرثر جاكوبس من (دريك وسوينى) ! »

كاد قلبى يتوقف لكنى طلبت منه الانتظار وهرعت إلى مكتب (موردخاى) لأخبره أن (آرثر جاكوبس) أهم رأس فى شركتى السابقة على الهاتف ..

دارت المكالمة .. وعرفت أنهم يريدون لقاء (موردخاى) فى الشركة غداً من أجل تسوية .. لم يطلبوا لقائى وكنت أتوقع هذا .. عندما انتهت المكالمة سألته عما إذا كان يعتقد أنهم خائفون ..

قال باسمًا :

- « طبعًا خائفون .. نحن لم نبدأ على الإطلاق وهام أولاء يطلبون تسوية .. إن الأمور تتحسن .. »

خمسة وعشرون

فيما بعد حكى لى (موردخاى) تفاصيل اللقاء الذى لم يحضره سوى (آرثر) و (رافتر) ومحامى شركة (ريفر أوكس) .. فى البدء لم يصدق أن (آرثر) فى الثمانين ، فهو لا ينسى شيئاً وكل التفاصيل فى ذهنه .. قدموا قهوة ممتازة مع الكعك ، وكلموه عن تسوية لأن الشركة تضايقت من الحملة الصحفية عليها .. أوضحوا أن (تشانس) كذب على الشركة وتصرف بشكل منفرد لهذا عوقب بالطرد .. لم يستقل لكنه طرد ..

سألهم (موردخاى) عما إذا كانوا رأوا المذكرة التى لم يضعها فى الملف فبدت عليهم الدهشة .. أخرج من حقيبته صورة المذكرة التى تثبت أن الأم الميتة كانت تدفع الإيجار .. قال إن قضيته واضحة وسوف يفهمها المحلفون جيداً ، خاصة أنه سيحرص على انتقاء محلفين من السود كي يتعاطفوا مع المطرودين .

عرضوا عليه دفع خمسمائة دولار لكل متوف .. لكنه قال إن هذا لا يكاد يقارب المبلغ المطلوب .. لن

يرضيه إلا دفع مليون دولار لكل متوف ، وهذا يعنى خمسة ملايين ..

بالنسبة لى عرضت الشركة تسوية موضوع سرقة الملف ، لكن بشرط أن يتم وقفى عن العمل عامين كاملين كنوع من العقاب الواضح ..

طبعاً لم يكن هذا وارداً بالنسبة لى .. طلبوا كذلك ألا يتسرب شىء آخر إلى الصحف ، فقال لهم (موردخاى) إنهم من بدأ عمليات التسريب هذه .. لقد أبلغوا الصحف بكل شىء عن اعتقالى وسرقة الملف ، وهذا يجعلنا متساويين ..

جلست فى غرفتى بعد رحيل الجميع أتأمل الجدار وأفكر .. لو أننى سلمت الملف لقبلت الشركة التسوية وعاد كل شىء إلى موضعه الصحيح .. أعرف كم هم يكرهوننى .. بالنسبة لهم أنا (يهوذا) الذى سرق معلومات تخصصهم وهو يعمل معهم ثم راح يهددهم بها ..

دخل (موردخاى) فألقى بنفسه على مقعد من المقاعد التى ابتعتها من (سوق البراغيث) ^(*) بستة دولارات ، وقال :

(*) تعبير عامى عن سوق الأشياء المستعملة ..

- « القاضى (دى أوريو) يريد أن تلتقى كل الأطراف فى محكمته غذا من أجل مناقشة قضيتك ضد الشركة .. أنا .. أنت .. هم .. هل تعرفه ؟ »

- « لا أذكر الاسم .. »

- « هو رجل صارم .. شريف وعصبى ويحب أن يصرخ فى المحامين .. إنه يريد تسوية القضية بسرعة لأنه يريد أن يكون (رول) قضاياه خاليا .. كل قاض يحب هذا لأنه يعطيه وقتا أكثر للعب الجولف .. إنه يريد أن تكون هناك غذا .. تجلس فى مقعد المحلفين .. وأن تجلب معك الملف .. »

- « بالتأكيد .. »

- « لا صحافة .. لا عدسات .. إنه يكره هذه الأمور فى محكمته .. بوسعه أن يخلق الملف لو تضايق منك .. على فكرة .. سيكون ذلك القواد (جانتري) الذى كان يملك المستودع هناك .. وهو شخص غير مريح .. بلطجى حقيقى وأعتقد أنه متضايق من أنك أقحمته فى القصة .. »

- « هل يعرف أنه سيجتاز جهاز كشف عن السلاح على باب المحكمة ؟ »

- « غالباً .. »

- « وما هو الصواب لأفعله يا (موردخاى) ؟ لقد فقدت الرؤية الصائبة »

- « أنت أخذت الملف من أجل عمل خير .. لم تنو سرقته .. عمل شريف هو لكنه ما زال سرقة .. الأمر ما زال فى يدنا .. يمكن أن أتصل بـ (آرثر) أقول له أن يسقط كل الاتهامات مقابل أن نسقط كل الاتهامات من جانبنا .. هذه قطعة كعك تلقى له .. وهذه القضية لن تحدث أى فارق معي .. الأسرة ماتت فعلاً .. لا أقارب لهم ينتفعون بالتعويض .. باختصار لا لزوم للقضية أصلاً .. »

- « الصحافة ستمزق لحمنا .. »

- « وهل تعتقد أن هؤلاء البؤساء الذين يأتون لنا يبالون لحظة بما تقول (الصحافة) ؟ »
قلت له :

- « وماذا أكون قد حققت من كل هذا ؟ هم ينجون بفعلتهم ، برغم أنهم تسببوا فى قتل أسرة .. وكل هذا كى أحفظ برخصة ممارسة المهنة ؟ »

كنت أعرف أنه يلعب معى دور محامى الشيطان ويقول
ما لا يؤمن به .. هو لا يريد من هذه القضية مالا .. كل
ما يريد هو محاكمة صاخبة تسلط عليها الأضواء ويتذكر
الناس حقوق هؤلاء المشردين .. ليست المحاكمة
قصاصة فى كل الأحوال .. أحيانا هى منابر وعظ ..

★ ★ ★

ست وعشرون

كانت قاعة محاكمة (دى أوريو) فى الطابق الثانى من بناية (كارل مولترى) .. إنها قريبة من قاعة القاضى (كيزي) التى تناقش فيها قضية الشركة ضدى .. عملية معقدة جداً ..

لم نتأخر عن الموعد لكنى صممت ألا ندخل القاعة قبل الوقت حتى لا أواجه نظرات (رافتر) و (آرثر) و (جانتري) الذى لا أتمنى أن أنفرد معه فى مكان واحد ..

اتخذت مقعدى وسط مقاعد المحلفين ، بينما جلس (مورديخاى) فى مقعد الادعاء .. وجلس محامو الشركة ومنهم ثلاثة من رهائن (مستر) - إلى جوار (جانتري) واثنين من محاميه .. كنت أتوقع أن هذا الأخير باعتباره قوادا يلبس الكثير من الخواتم وثيابا مزركشة ، لكنه كان يلبس بدلة أنيقة وبدا أكثر أناقة من المحامين .. وكان هناك اثنان من محامى شركة (ريفر أوكس) ..

ثلاثة من رهائن (مستر) هنا .. فماذا حدث لى ؟
كلهم احتفظوا بعقولهم بينما جئنا أنا .. لماذا لعبت
دور الأخت الهشة ؟

فى الواحدة بالضبط دخل القاضى واتخذ مقعده .. قال
لنا :

- « مساء الخير .. »

ثم أصلح من وضع الميكروفون وطلب من مستر
(بيرديك) أن يغلق الباب .. مستر بيرديك هذا هو
حارس أمن . ثم قال :

- « عرفت من سكرتارى أن كل الأطراف هنا .. »

ونظر لى كأتى مجرد سفاح نساء آخر ..

- « ليكن واضحاً أنه لن ينقل للصحافة أى حرف
يقال فى هذه الجلسة .. هل هذا مفهوم ؟ »

نظر لى الجميع ، فكدت أقف لأذكرهم أننى وإن كنت
من وجه أعنف ضربة فإنهم هم من وجه اللكمة الأولى
عندما نشروا صورتى فى الصحف .. هنا مرت موظفة

لتجعلنى أوقع على إقرار بعدم كشف أسرار هذه الجلسة ..
وقعت بينما رجال (دريك وسوينى) يراجعون فقرات
إقرارهم بحثاً عن ثغرات ما .. هكذا تدريبنا جميعاً ..

دعا القاضى (موردهاى) للكلام خلال خمس دقائق ..
نهض هذا ويداه فى جيبيه وبلا مذكرات ، وراح يتكلم ..
منتهى الثقة والشعور بالراحة ..

بعد هذا نهض (آرثر) يدافع عن شركته فأقر منذ
البداية بأن عملية الإخلاء كانت خطأ .. لكنه اتهم
العاصفة .. واتهم أم الأطفال ذاتها بأنه كان يوسعها
أن تبين فى أى ملجأ أو تذهب لتعيش عند أمها ..
بشكل ما هى مسئولة عما حدث لها وأطفالها .. هذه
آخر مرة يستطيع فيها أن يواجه اتهامه لأم ميتة ،
لأنه فى المرة القادمة سيكون هناك محلفون لون
بشرتهم مختلف .. وعندها لن يجسر أى محام فى
العالم على اتهام أم زنجية ميتة بالمسئولية عن موتها
هذا ..

نهض (موردهاى) وقال :

- « ليس بوسع هؤلاء القوم الحصول على مسكن بسهولة يا سيدى ، لذا نطلق عليهم مشردين . أنتم طردتموهم للشارع وهناك ماتوا .. هذه هى الحقائق .. سيكون من دواعى سرورى مناقشتها مع المحلفين .. والأهم أننا سنرفع قضايا أخرى من أجل كل من تم طردهم من المستودع .. »

بالطبع ارتجف (آرثر) لفكرة أن ينطلق (موردخاى) طليقا فى قاعة المحكمة أمام محلفين لهم لون بشرته .. كان بارعا ولو كان الأمر بيدى لأعطيته شيكا على بياض ..

طلب منى القاضى أن تناوله الملف ، فأخرجه (موردخاى) من حقيبته وناوله للقاضى الذى راح يقلب صفحاته ثم سأل (آرثر) :

- « لقد عاد ملفكم .. فهل أنتم راغبون فى التسوية ؟ »

- « لو استقررنا على باقى النقاط فنحن راغبون فى ذلك سعادتكم .. »

- « وماذا عن مستر (بروك) ؟ »

بالطبع أرغب فى ذلك ..

سألنى القاضى :

- « هل تعتبر نفسك مسئولاً عن سرقة الملف ؟ »

لم أكن قد أعددت ما أقول لكنى وقفت وقلت :

- « مستر (جاكوبس) .. كنت أحترمك بشدة ومازلت ..

لقد أخطأت عندما أخذت الملف وقد تمنيت ألف مرة لو لم

أفعل .. كنت أبحث عن معلومات اعتقدت أنكم تخفونها ،

لكن لا عذر لى ، وإبنى لأعذر لك والشركة وعميلك .. »

وجلست دون أن أرفع عينى .. فيما بعد قال لى

(موردخاى) إن هذا الاعتراف المتواضع قد رفع درجة

حرارة القاعة بضع درجات بعدما بلغت درجة

التجمد ..

هنا طلب القاضى أن يتحدث على انفراد مع كل منا ،

وطلب أن أقابله فى غرفته أنا و (موردخاى) .. ثم قابل

(آرثر) .. بعد هذا استدعانا لقاعة المحاكمة ، وقال :

- « آخر ما توصلنا إليه هو أن شركة (دريك وسويني) ستدفع ثلاثة ملايين مع وقف المسטר (بروك) عن ممارسة المهنة لمدة عام .. »

صاح (موردخاي) وهو يحمل حقيبته :

- « إن نحن نضيع وقتنا .. إننى أطلب الإذن بالانصراف سعادتكم .. »

قال القاضى فى ضيق :

- « إذنك معك .. »

هكذا غادر (موردخاي) القاعة وأنا معه .

سبع وعشرون

كنت فى سيارتى أستعد للرحيل .. نكن من جديد استدعانا
القاضى لقاعة المحاكمة عن طريق هاتفى الخلوى ،
فضحك (موردخاى) وهرعنا إلى قاعة المحاكمة حيث
كانت الجلسة مستمرة .. قال القاضى عندما رأنا :

« نحن نقترّب من تسوية .. »

خطر لى أن محامى شركة (ريفر أوكس) قررا
التدخل .. ربما بالاشتراك فى المبلغ المدفوع
كتعويض .. لا أعرف بالضبط ما دار بعد رحيلنا لكن
مناورة (موردخاى) كانت ناجحة بالتأكيد ..

ما تم الاتفاق عليه هو خمسة ملايين دولار كتعويض
مقسطة .. وبما أن الأسرة هلكت فإن المحكمة ستراقب
جوانب إنفاق هذا المبلغ ، أما بالنسبة لى فقد تم الاتفاق
على وقفى عن العمل مدة تسعة أشهر ..

كانت السكرتيرة قد كتبت الاتفاق فى صفحة واحدة
ومررتّه علينا ليوقع كل منا عليه ..

كان مبلغ الخمسمائة ألف دولار التى نالها مكتبنا فى هذه الصفقة واعدًا بحق .. نحتاج إلى أجهزة هاتف وكمبيوتر .. دعك من أن (موردخاى) سيودع باقى المبلغ فى المصرف لتكفى أرباحه لسداد رواتبنا ، لكن الأمر ما زال يحتاج إلى جهد كبير .. لقد هلكت الأسرة فلا بد من أن نجد أبا الأطفال .. فإن كان قد هلك علينا أن نجد ورثته ..

على أننى فوجئت ذات صباح بـ (آرثر) وقد جاء إلى مكتبنا وجلس على المقعد الرخيص إياه .. قال لى إن شركته استعادت لياقتها وعادت لتعصيل المال ، لكنه ما زال عاجزاً عن النوم .. إنه يقترب من الثمانين وفكرة ذلك الخطأ الذى ارتكبه موظف عنده وتسبب فى موت أشخاص كثيرين لا يفارق تفكيره ..

— « إننى أدنو من القبر .. لكن ضميرى ليس مستريحاً على الإطلاق .. »

إن (آرثر) من جيل قديم من المحامين .. ذاك الجيل الذى اعتبر ممارسة الأخلاق جزءاً من المحاماة .. وما فعله معى كان جزءاً من هذا المبدأ ..

اقترحت عليه الحل التالى .. سوف ينتدب لنا محامياً واحداً من محاميه الأثرياء كل أسبوع ليعمل فى قضايا المشردين .. وعلى هذا المحامى أن يحل قضية مشرد واحد فقط فى هذا الأسبوع .. إن لديه ثمانمائة محام فلن يؤثر هذا على مجرى العمل ، وأنا غير قادر على ممارسة المحاماة لمدة تسعة أشهر .. إذن هذا حل عادل يزيح العبء عن كاهله ويوفر لـ (موردخاى) من يسد نقص المحامين عنده ..

راقت له الفكرة ووعد بأن يبدأ تنفيذها ..

- « سوف نحتاج إلى كاتب محام بارع .. وأنا أرشح (هكتور بالما) »

بدا أنه لم يسمع الاسم قط ، فقلت :

- « إنه مساعد (تشانس) الذى نفاه إلى (شيكاغو) كى لا يكون شاهداً خطراً .. لقد نقل فى منتصف الليل وأعتقد أن حياته كلها هنا فى واشنطن .. لا بد من إعادته إلى هنا »

- « فهمت .. »

فى هذا الوقت كانت (روى) قد نجحت فى قضاء
أسبوعين من دون مخدرات ، وبدأ أنها قادرة على
الامتناع نهائياً .. ارتدت ثياباً نظيفة وبدأت حياتها تتغير .

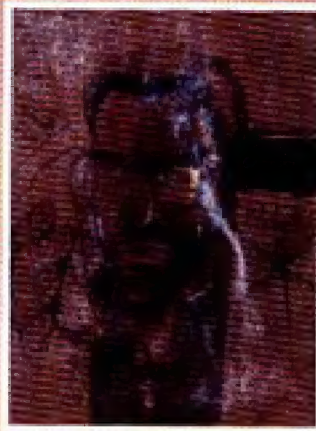
وكانت علاقتى تتوطد بـ (ميجان) مديرة الملجأ وبدأ
واضحاً أننا سنتزوج عما قريب ..

شد ما تغيرت حياتى فى شهرين !

منذ شهرين كنت أعمل فى شركة (دريك وسوينى)
وكنت متزوجاً من امرأة أخرى ، وكانت لى طموحات
أخرى تماماً .. اليوم تبدلت حياتى بالكامل ..

لا داعى للكلام عن المستقبل .. فالماضى ما زال
يحدث !!

جون جريشام



61

محامى الشوارع

فى حياة كل منا لحظة بعينها ينقلب فيها كل شىء ، وتذكر أن
ما كنت تقاتل من أجله لا قيمة له .. وكانت هذه اللحظة فى
انتظار (مايكل بروك) عندما تعرض للاحتجاز هو وثمانية من
رفاقه فى شركة حمامة كبرى .. قبلها كان محامياً شاباً طموحاً ،
وبعدها صار محامى شوارع مشغولاً بالذين لا بيت لهم .. قبلها
كان رؤسائه يفخرون به ويعتبرونه حصانهم الرابع ، وبعدها
صاروا ألد أعدائه ..

العدد القادم

قاعدة المرايا (روجر زيلانى)



المؤسسة

العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

التمن فى مصر ٣٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم